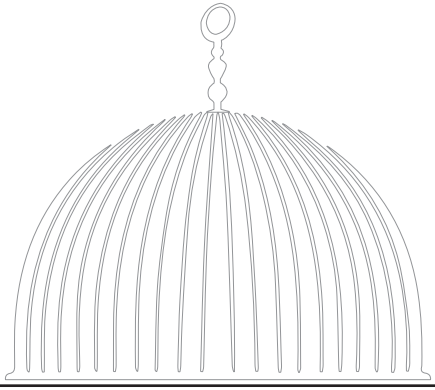

يومُ القدسِ العالميّ

يومٌ للتوعيةِ والتعبئةِ

إعداد
يحيى قاسم أبو عوّاضة

مؤسسة الإمام المهدي الثقافية
منشورات الثقافة القرآنية

طباعة ونشر مؤسسة الإمام الهادي الثقافية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م

أُعُـوْذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَان الرَّجِيْمِ

بِـسْـــمِ اللهِ الرَّحْـمَـنِ الرَّحِـيْـمِ

الحمـدُ لله رَبِّ العالمين، وأَشـهَـدُ ألا إلهَ إلَّا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا مُحَمَّــداً عبدُهُ ورَسُــوْلُه خاتمُ النبيين.

اللّهـم صَلِّ على مُحَمَّــدٍ وعلى آلِ مُحَمَّــد، وبارِكْ على مُحَمَّــدٍ وعلى آلِ مُحَمَّــد، كما صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلـى آلِ إبراهيمَ إنك حميـدٌ مجيـدٌ، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين.

يـوم القـدس العالمـي، الـذي أعلنـه ودعـا إليـه الإمام الخميني –رضوان الله عليه–؛ **ليكون** مناسبةً مهمةً على المستوى التوعـوي والتعبـوي للأمـة، لاستشـعارها للمسـؤولية، وتذكيرهـا بواجبهـا الكبير تجاه قضية مـن أهم قضاياها، بل هـي تحتـل المرتبة الأولى فـي القضايا المعاصـرة التي تتعلق بهـا مسـؤولية كبيرة على الأمة، وهي فرصـةٌ مهمة للحديث عـن هـذه القضية **مـن حيث** الخطـورة، **ومن حيـث** التذكير

بالمسؤولية، **ومن حيث** الرؤية اللازمة التي ينبغي أن تتحرك على ضوئها الأمة بحسب مسؤوليتها، وبحسب مستوى الخطورة عليها من جانبٍ عدوٍ لدود، هو: العدو الإسرائيلي.

وفي هذه المناسبة من المهم التذكير بالأهمية، وبحجم هذه القضية التي عادةً ما يسعى الأعداء والعملاء إلى تقديم صورة مختلفة عنها لدى الأمة؛ **حتى** تؤثِّر على الموقف العملي للأمة تجاه هذه القضية، فمن أول ما نحتاج إليه هو: **كيف نستشعر أهمية هذه القضية، ومستوى حجمها، ومستوى خطورتها.**

لمعرفة كل ذلك قدمنا ـ أيها الإخوة والأخوات الأعزاء ـ هذه المادة الثقافة التي تتضمن محاضرتين للسيد القائد عبد الملك بدر الدين الحوثي حفظه الله بمناسبة يوم القدس العالمي لعام ١٤٤١ هـ وكذلك كلمته التي شارك بها قادة محور المقاومة في نفس العام.

والله ولي الهداية والتوفيق .

الخطورة التي يشكلها العدو الإسرائيلي على الأمة وواجبنا تجاه ذلك

العدو الإسرائيلي الذي يحتل بلداً هو جزءٌ من هذه الأمة، جزءٌ من الأرض الإسلامية، ويضطهد شعباً هو جزءٌ من هذه الأمة نفسها، **من المسلمين**: الشعب الفلسطيني، ويحتل أيضاً أجزاء أخرى من بلدان مسلمةٍ أخرى، ويحمل عداءً شديداً للأمة الإسلامية بكلها، ويحمل طموحاً وتوجهات للسيطرة العامة على هذه المنطقة بكلها، وعلى هذه الأمة بكلها، هو عدوٌ خطير، وقضية بهذا الحجم هي تحتاج إلى اهتمام والتفات جاد، وتستحق الالتفاتة الجادة نحوها من أبناء الأمة.

لربما الكثير من أبناء الأمة بات التصور الراسخ والسائد لديهم تجاه هذه القضية: أنَّ العدو الإسرائيلي تقتصر خطورته وتقتصر المشكلة معه على الإطار الجغرافي الذي يتواجد فيه حالياً، فهو عدو مشكلتنا معه أنه قد احتل بلداً

معيناً، وهو يشكِّل تهديداً على مقدسات معينة، حتى بهذا المستوى، حتى لو كانت النظرة محدودةً على هذا النحو، فالقضية تمثِّل أهميةً كبيرة في موقعها من مسؤولية الأمة الدينية، والتزاماتها الدينية؛ **لأننا** نحن المسلمين في ثقافتنا، في التزاماتنا الإيمانية والدينية، نعتبر أنَّ أيَّ جزءٍ من أبناء الأمة على المستوى الجغرافي: أرض معينة من بلاد المسلمين، أو أيَّ جزءٍ من الأمة نفسها: منطقة معينة، سكان بلد معين اضطهدوا وهم ينتمون للإسلام، فنحن كمسلمين نتحمل مسؤوليةً في وجوب أن نسعى ونعمل إلى طرد العدو من أي بقعةٍ من بقاع العالم الإسلامي يحتلها، حتى ولو كانت شبراً واحداً، وكذلك على مستوى المسؤولية تجاه أي جزء من أبناء الأمة، مسلمين هنا أو مسلمين هناك يضطهدون، أن نسعى لنصرتهم، أن نسعى لمعونتهم، أن نكون إلى جانبهم، أن نبذل ما نستطيعه من أجلهم.

ولكن حجم هذه المشكلة ومسؤوليتنا أيضاً نحوها أكبر

بكثيرٍ من ذلك، ففي فلسطين أيضاً مقدسات- على رأسها المسجد الأقصى الشريف- من مقدسات الأمة، وهنا تكبر المسؤولية في العمل لدحر العدو ولطرده؛ **ولذلك** اختار الإمام الخميني -رضوان الله عليه- أن يكون العنوان يوم القدس؛ **لتذكيرنا** أيضاً بمستوى مسؤوليتنا، وبحجم هذه القضية، فيما تعنيه لنا بحسب الرمزية والأهمية الكبيرة للمقدسات الإسلامية في ثقافتنا الإسلامية، وضمن التزاماتنا الدينية؛ **لأن** المقدَّسات من الركائز التي تتمحور حولها الأمة، ولها رمزيتها الكبيرة التي تحفظ للأمة- ما دامت متمحورةً حولها- تحفظ لها أن تكون أمةً قويةً، ولها ما يجمعها، لها ما يربطها، لها ما تتمحور حوله... وأشياء مهمة، مقدَّسات ذات أهمية كبيرة بحسب انتمائها الإيماني والديني.

العدو الإسرائيلي يمثِّل خطراً كبيراً على الأمة بكلها، في كل أقطارها، وفي شتى بلدانها، ولا تقتصر خطورته وشره

على أنه يظلم بعضاً من الأمة، والأمة بالفعل تتحمل مسؤوليةً للتعاون معهم، بل خطورته تعم الأمة بكلها، وخطورة كبيرة، لا تقتصر على مستوى التهديد العسكري، أو التهديد الأمني، بل هي تتعدى ذلك.

الموقف السائد تجاه هذا الخطر الكبير

عندما نأتي إلى هذه القضية، ونأتي إلى الموقف الذي هو سائد في واقع الأمة تجاهها، فنحن سنجد أنها - وللأسف الشديد- من أكبر القضايا التي لم تحظ بالاهتمام المطلوب من المسلمين، ولم يرق اهتمام الأمة بها إلى مستوى المسؤولية، ولا إلى مستوى الخطورة، وهذا شيءٌ واضح في واقع الأمة، قضية كبيرة **جدًّا**، وخطيرة للغاية، ولكن مستوى اهتمام الأمة بهذه القضية لم يرق إلى مستوى مسؤوليتها، ما عليها من المسؤولية تجاه هذه القضية، ولم يرق إلى مستوى الخطر الحقيقي لهذه المسألة، منذ بداية هذه المشكلة وإلى

اليوم، ما عدا القلة القليلة من أبناء الأمة، ولكن على المستوى العام والمستوى الإجمالي.

وعلى سبيل المثال: ليس هناك توجه واضح وبارز على المستوى الرسمي والشعبي في الأمة الإسلامية لدى أغلب أبناء الأمة- والاستثناء هو القليل- في أن يدرسوا هذه المشكلة جيداً، وأن يبحثوها بحسب حجمها وأهميتها وبجدية كبيرة، فيخرجوا برؤية واضحة، يتحركون على ضوئها في هذه القضية، وبحسب مسؤوليتهم عنها، هذا شيءٌ غائب، ليس هناك حتى في هذه النقطة التي تفترض أن تكون هي الخطوة الأولى التي ركَّزت عليها الأمة تجاه هذه القضية، هذا غائب.

ثم تسود في واقع الأمة الكثير من المواقف الارتجالية، والمواقف المستعجلة، التي لم تنطلق من خلال رؤية مدروسة كما قلنا؛ **وإنما** بناءً على الانطباعات والمفاهيم العامة لديها، تتبنى مواقف من هنا أو هنا، مواقف ارتجالية، وليست

مواقف عميقة، ومواقف مدروسة، ومواقف عملية فعَّالة تصل بالأمة إلى نتيجة ملموسة، وتخضع للتقييم المستمر في كل المراحل، هذا غائب عن واقع الأمة في أكثر واقع الأمة.

الدور السلبي للأنظمة وانعكاسه على الشعوب

نجد من خلال التشخيص والتقييم للواقع العام لأبناء الأمة: أنَّ الخيارات التي عليها واقع الأمة حالياً هي: السكوت والجمود لفريقٍ كبيرٍ من أبناء الأمة، **لماذا؟ لأن** الحالة التي كانت سائدة في واقع الأمة، **هي:** أنَّ الذي يتصدر المشهد هي الجهات الرسمية، والجهات الرسمية في عالمنا العربي والإسلامي كانت مواقفها متخبطة إلى حدٍ كبير، ومواقف ليست مواقف ذات رؤية واضحة، وعمل مستمر، كما قلنا مواقف ارتجالية، يأتي أحياناً اجتماع، يأتي أحياناً مؤتمر، تأتي أحياناً قمة، ولم تكن بالمستوى الجاد كما ينبغي، ولم تكن أيضاً تعتمد على وضوح وعلى مفهوم

صحيح؛ **بينما** كان ينقصها كل عوامل النجاح، كل عوامل النجاح لا تتوفر في التعاطي الرسمي على المستوى العربي، وعلى مستوى معظم الدول في عالمنا الإسلامي.

وأتت الحالة الشعبية لتكون- في أغلبها- حالة تابعة للجانب الرسمي، وجامدة؛ **لأنها** تكل الأمر إلى الجانب الرسمي، وتعتبر نفسها غير معنية، وأنه هو الذي سيتحمل الدور بكله، فكان الواقع لدى أغلب أبناء الأمة هو حالة من الجمود والسكوت، مع وجود حالة من التعاطف- لربما- عند أغلب أبناء الأمة، التعاطف إلى حدٍ ما، والألم عندما تبرز أحداث معينة، عندما تأتي مجازر وحشية معينة، عندما تحصل أحياناً في بعض المحطات التاريخية كذلك مظالم كبيرة.

وجزءٌ آخر من أبناء الأمة على المستوى الرسمي، ويتفاعل معه البعض على المستوى الشعبي، ولربما ليسوا هم أكثرية، ولكنهم حاضرون بتفاعل أكبر، ووضوح أكثر

مع الوقت، وهم الذين اتجهوا نحو العمالة، ونحو الخيانة، ونحو الوقوف في صف العدو، والسعي إلى أن يدخلوا في علاقات وتحالفات مع العدو، هؤلاء هم أيضاً اتجهوا هذا الاتجاه بعيداً عن الموقف الصحيح الذي يجب أن تكون عليه الأمة.

جزءٌ من أبناء الأمة وقفوا أيضاً المواقف الإيجابية والجيدة بحسب التقييم العام، فاتجهوا في البداية إلى التصدي للخطر الإسرائيلي، والمواجهة مع العدو الإسرائيلي، وكان توجههم توجهاً برؤية ناقصة، اهتمام على المستوى العسكري فحسب، وبنواقص كبيرة، حتى على مستوى ما يضمن نجاح الخيارات العسكرية، والأداء العسكري، فاتجهت مثلاً في مراحل معينة من تاريخ هذه الأمة بعض من الأنظمة العربية والجيوش العربية وخاضت حرباً عسكرية ضد إسرائيل، ولكنها فشلت، وهزمت في تلك الحروب العسكرية وللأسف.

ونجـد مثلاً الفارق الكبير بين الأداء العسـكري للجيوش العربية التي خاضت في مراحل معينة- مجتمعةً- المعركة مع العدو الإسرائيلي، والفارق مثلاً في أداء حزب الله في لبنان، أو المقاومة في غزة، في مستوى الأداء العسكري، والفاعلية في هذا الأداء على المستوى العسـكري، بالرغم من الفارق الكبير **جدًّا** على مستوى الإمكانيات والعدد والعدة، ولكن هذا يوضِّح لنا كيف أنَّ الخيار العسـكري والأداء العسكري حتى هو- بحد ذاته- لم ينطلق على أسـاس رؤية تسـاعده على النجاح، وتجعل منه خياراً ناجحاً وفاعلاً.

وفي هذا كله دروس وعبر، وفي هذا كله نظر، يحتاج من الأمـة إلى أن تعود لتلتفت بجدية لدراسـة هذا الواقع بكله؛ **ولذلك** نأتي إلى الحديث في هذه المناسـبة عن هذه المسألة، عن هـذه القضية، عن هـذا الخطر، عن هـذا التحدي، ومن خـلال الرؤيـة القرآنية التي قدَّمها السـيد حسـين بدر الدين الحوثي -رضوان الله عليه-.

الشهيد القائد يقدم القرآن الكريم للأمة كتاب هداية

في كل مجالات حياتها وبالذات في مجال الصراع

مشكلة الأمة أنها ابتعد ت عن ثقافة القرآن الكريم

السيد حسين بدر الدين الحوثي لاحظ على أنَّ معظم التعاطي من أبناء الأمة، والتفاعل والتعامل مع هذه القضية، يبتعد إلى حدٍ كبير عن مسألة العودة إلى القرآن الكريم، بل غابت إلى حدٍ كبير عملية الدعوة إلى العودة إلى القرآن الكريم؛ **للاستفادة** منه، والاهتداء به في مواجهة هذه المشكلة، وهذه ملاحظة مهمة، وملاحظة بارزة، وملاحظة خطيرة **جدًّا؛ لأن** الشيء الطبيعي المفترض بهذه الأمة، وهي أمة تنتمي للإسلام، وأهم وأعظم ما لديها ككتاب هداية ومصدر هداية هو القرآن الكريم، وكان الشيء الطبيعي أن تعود إليه، وأن تستفيد منه؛ **لأن** القرآن الكريم ككتاب

هداية لا تقتصر هدايته على جوانب محدودة وبسيطة في واقع الحياة؛ **وإنما** هو كتاب هداية لهذه الأمة، يهديها للتي هي أقوم في كل المسائل التي تحتاج فيها إلى هداية، في كل القضايا التي تحتاج فيها إلى هداية.

ومن أهم وأكبر ما تحتاج فيه الأمة إلى هداية القرآن الكريم، **هو**: هذه المشكلة، هو هذا الخطر، هو هذا التحدي، تحتاج فيه الأمة إلى هداية الله -سبحانه وتعالى-، والله -سبحانه وتعالى- قدَّم الهداية الكافية في كتابه المبارك في القرآن الكريم، ولكن غابت الدعوة إلى العودة إلى القرآن الكريم إلى حدٍ عجيب في واقع الأمة.

وعندما أتت هذه الدعوة بالعودة إلى القرآن الكريم، أيضاً كان التفاعل معها ضعيفاً من كثيرٍ من أبناء الأمة، بل ومستغرباً من البعض، فهم لا يتصورون أنَّ في القرآن الكريم رؤيةً يمكن أن تعتمد عليها الأمة، وأن تستفيد منها الأمة في التعامل مع هذه المشكلة.

القرآن الكريم قال الله عنه: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء: من الآية ٩]**؛ وبالتالي فعلينا أن نؤمن بأنه سيقدم أرقى رؤية للأمة تعتمد عليها في مواجهة هذا الخطر وهذا التحدي، وفي التعامل مع هذه القضية بما يضمن النجاح.**

الله -سبحانه وتعالى- **قال عن القرآن الكريم: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**[الفرقان: من الآية ٦]، فالله -سبحانه وتعالى- الذي يعلم السر في السماوات والأرض، ويعلم الغيب والشهادة، ألا يمكن أن يكون قد قدَّم لنا في كتابه هذا وفيما أنزله هدايةً تفيدنا في التعامل مع هذه القضية، في مواجهة هذا الخطر وهذا التحدي؟!

الله -سبحانه وتعالى- **قال في القرآن الكريم** وهو يقدِّم عرضاً مهماً، وتشخيصاً مهماً، وينبه على مؤامرات معينة من جانب الأعداء، من جانب اليهود أنفسهم، **قال أيضاً كلمةً**

مهمة: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾[النساء: من الآية ٤٥]، وهذه كلمة في غاية الأهمية؛ **لأنه** قدَّمها في سياق ما يحدِّثنا عنهم، فهو يتحدث عنهم، عن مؤامراتهم، عن خطورتهم، عمَّا ينبغي في مواجهتهم، ثم يقول هذه الكلمة التي هي في غاية الأهمية: ﴿**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ**﴾، فما يقدِّمه هو من واقع ما يعلمه، وهو الأعلم بهم، الأعلم بهم منا، والأعلم بهم من كل أحد، من كل من يمكن أن يقدِّم رؤية، أو أن يقدِّم تصوراً، أو أن يقدِّم عرضاً، أو أن يقدِّم تقييماً، أو تشخيصاً، أو فكرةً عن الموضوع، الله -سبحانه وتعالى- هو الأعلم، وهو الذي يعلم الغيب والشهادة.

القرآن الكريم شخَّص واقع أهل الكتاب وبين للأمة نقاط ضعفهم

القرآن الكريم تحدث عن اليهود بشكلٍ خاص، وعن أهل الكتاب بشكلٍ عام في مساحة كبيرة من الآيات القرآنية، المئات من الآيات القرآنية، **والمساحة الواسعة التي تحدثت عنهم**: في سورة البقرة، في سورة آل عمران، في سورة النساء، في سورة المائدة... في كثيرٍ من السور القرآنية التي تحدثت عنهم حديثاً واسعاً، وحديثاً متنوعاً، وقدَّمت عرضاً تفصيلياً **نستفيد منه** تشخيص المشكلة في منشأها، **نستفيد منه** التقييم الكامل للعدو، **نستفيد منه** معرفة كل نقاط القوة والضعف في واقعنا وفي واقع العدو، **نستفيد منه** الرؤية العملية التي يمكن من خلالها أن نصل إلى النجاح الكامل، والنصر العظيم، ونصل إلى الفتح في مواجهتنا لهذا العدو.

القرآن الكريم تحدَّث أولاً في تشخيصه لمنشأ المشكلة في آيةٍ قرآنيةٍ مهمة، نتحدث على ضوئها، ثم ندخل إلى بقية

التفاصيل، يقول الله -جلَّ شأنه- عن اليهود، وعن بني إسرائيل: **﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾**[آل عمران: الآية ١١٢]، في الآية المباركة يبين الله -سبحانه وتعالى- أنه قد ضرب عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ **﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾**، و**(أَيْنَ مَا ثُقِفُوا)** تشمل كل مكان وكل زمان، وهذه نقطة **يجب** أن نلتفت إليها، أين ما وجِدوا في كل زمن من يوم أن ضربت عليهم الذلة، وفي أي مكان منذ أن ضرب الله عليهم الذلة، ولأنهم قد ضربت عليهم الذلة؛ **فهذا** سيجعلهم في وضعية يكونون فيها مهزومين، مقهورين، مغلوبين، لا يستطيعون أن يكونوا في حالةٍ يبنون لهم فيها كياناً حاضراً في الساحة، وأن يقارعوا الآخرين، وأن يغلبوا الآخرين، وأن يهزموا الآخرين، أن تكون الذلة مضروبةً عليهم، **يعني**: أن يكونوا

هم في وضعيةٍ يكونون فيها في حال قهرٍ، وفي حال خنوع، وفي حالة استسلام، لا أن يكونوا هم من يغلبون الآخرين، أو يقهرون الآخرين، أو يواجهون الآخرين، أو يسيطرون على الآخرين، فـ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ**﴾ يدخل تحتها وضعية يكونون فيها في هذه الحالة، وهذا نصٌ مهمٌ **جدًّا، ويأتي بعده:** ﴿**أَيْنَ مَا ثُقِفُوا**﴾، ليشمل كل زمانٍ ومكان منذ أن ضُربت عليهم تلك الذلة.

ثم يأتي هذا الاستثناء، وهو مهمٌ لنا نحن المسلمين: ﴿**إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**﴾، هذا الاستثناء مهمٌ **جدًّا؛ لأننا** في زمن تحقق فيه هذا الاستثناء: ﴿**إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ**﴾، لا يمكن أن يخرجوا عن تلك الوضعية التي يكونون فيها في حالة شتات، في حالةٍ يكونون فيها مقهورين، مغلوبين، مستذلين، لا يستطيعون أن يغلبوا أحداً، ولا أن يهزموا أحداً، هذه الحالة من الاستثناء تبين أنه لا يمكن أن يخرجوا عن تلك الوضعية، وأن يهزموا

أحـداً، أو يغلبوا أحداً، أو يسـيطروا على أحـد، **إلا** وفق هذا الاستثناء: ﴿**إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**﴾.

ما هو الحبل من الله؟ المفسـرون بكل تأكيد يقولون: أنه التسـليط الإلهي، إذا سُلِّطوا من قبل الله -سبحانه وتعالى- على أحد، فيمكن أن يخرجوا عن هذا الاستثناء بقدر ما يسلَّطون، بهذا المقدار الذي يتيحه الله -سبحانه وتعالى- ليضرب بهم أحداً هنا أو هناك.

﴿**وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**﴾، **يعنـي:** مع بعض حبلٍ من الله من جانب، هو عبارة عن التسليط الإلهي، ﴿**وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ**﴾: ما يمكن أن يحصلوا عليه من جانب الناس، لا يسـتطيعون أن يتحركوا بمفردهم من دون حماية من أحد، من دون مساندة من أحد، من دون دعمٍ من أحد، ولا يكفيهم أن يكونوا مدعومين من طرفٍ ما، وبحماية ورعاية من طرفٍ ما، من دون أن يحصل أيضاً التسليط الإلهي الذي يتيح لهم النجاح.

ونحن نجد في هذا الزمن، في هذا العصر، أنه حصل هذا: حبل من الله وحبل من الناس، **الحبل من الناس:** الدعم والرعاية والمساندة التي حظوا بها من جانب بريطانيا أيام احتلالها لفلسطين، ومن بعد وعد بلفور، وما قدمته لهم بريطانيا من رعاية وتمكين ومساندة، ومساندة على مستوى أوسع آنذاك، **يعني:** من العالم الغربي بشكلٍ عام، ثم من بعد بريطانيا قامت أمريكا بالدور بشكلٍ كبير، ولا يزال إلى جانبها الغرب إلى حدٍ ما كذلك.

ولكن المسألة الأخطر علينا نحن المسلمين هي قوله: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ﴾؛ لأنها تنبئ أنَّ الوضعية التي تمكَّن فيها هؤلاء من أن يتحركوا لضرب الأمة، واستهداف الأمة، وأن يبنوا لهم كياناً في قلب منطقة هي داخل هذه الأمة، هي وضعية خطيرة، هي وضعية تقصير، هي وضعية عصيان، هي وضعية تفريط، هي تدل على خللٍ كبيرٍ في واقع الأمة، لدرجة أنَّ يسلط الله عليها هذا العدو، لدرجة أنَّ يتمكن

أولئك الذين ضرب الله عليهم الذلة من إذلال أبناء الأمة إلى حدٍ كبير، ألم يتمكنوا من إذلال الجيوش العربية؟ ألم يتمكنوا من إذلال أمة بأكملها آنذاك، ولا يزالون يذلون الكثير من أبناء الأمة إلى حد اليوم، ما عدا من يخرج عن هذه الوضعية السيئة.

وهذه- بحد ذاتها- كافية في أن يلتفت المسلمون بجدية إلى بحث أسباب السخط الإلهي، الذي كانت من نتائجه هذا التسليط، أن يتاح لأشر عباد الله، لأسوأ خلق الله، أن يبنوا لهم كياناً، وأن يواجهوا هذه الأمة، وأن يذلوها على مدى عقود من الزمن، وأن يهددوها، وأن يقف الكثير من زعماء هذه الأمة في موقف الذلة أمامهم.

وصل الحال- فعلاً- إلى أن كان معظم زعماء هذه الأمة من ملوك وأمراء أذلاء أمام من قد ضربت عليهم الذلة، وأمام من قد ضربت عليهم المسكنة، والحال السائد لدى معظم الجهات الرسمية في العالم العربي هو هذه الذلة،

وهم يعيشون حالة من اليأس والشعور بالضعف، والشعور بالذلة والضعة أمام العدو الإسرائيلي، بل يروِّجون أنه من المستحيل مواجهته، من المستحيل طرده، من المستحيل التخلص منه، وأنه أصبح حالة قائمة واقعية لا مناص منها، إلَّا بالتعامل معها، والقبول بها، هكذا يروِّجون، أليست هذه حالة ذلة رهيبة **جدًّا**؟

ونحن نقول: أنَّ هذه الآية المباركة هي كافية في أن يلتفت المسلمون بجدية إلى تصحيح وضعهم؛ **لأنه** وضعٌ خطير، وضعٌ يكون فيه سخطٌ من الله -سبحانه وتعالى-، ويكون من نتائجه هذا التسليط الإلهي، وضعٌ خطير، يستوجب التفاتة جادة لتصحيح هذا الوضع؛ **لأن** ثمرة الإسلام في هديه، في تعليماته، في توجيهاته، في برنامجه، هو يبني هذه الأمة؛ **لكي** تكون أمةً عظيمةً، قويةً، عصيةً على أعدائها، منيعةً، ولكي يكون وضعها الداخلي واقعاً صحيحاً، وقائماً على أساس المبادئ والقيم الإلهية، قائماً على العدل، على الخير،

ثم تـؤدِّي دورها فـي العالم على أسـاس ذلـك، تتحرك في السـاحة العالميـة على هذا الأسـاس، ولكن مـا وصلت إليه الأمة، ولنتائج خطيرة **جدًّا**، ولتراكمات عبر الزمن، أوصلتها إلى وضعية من التفكك، وغياب المشروع، والضعف، يطمع أعداءهـا فيهـا، ويعطي فرصـةً لأولئك الذيـن قد ضرب الله عليهم الذلـة أن يتحركوا فيها، **معنى ذلـك**: أنَّ الأمة فرَّطت وقصَّـرت فـي جوانب مهمة مـن دينها، جوانب رئيسـية من إسـلامها، كانت كفيلةً ببناء واقعها ليكـون واقعاً مختلفاً، لا يمثـل فرصـة مطمعة لأعدائهـا، وكذلك تحظى فيـه بالتأييد الإلهي، والنصر من الله -سـبحانه وتعالى-، فتكون في موقع أن تحظى بالتأييد الإلهي والنصر من الله، لا في موقع أن يسلِّط الله عليها شـر خلقه. فهذا درسٌ مهمٌ **جـدًّا**، يعطينا نظرةً عن منشأ المشكلة التي وقعت فيها هذه الأمة، والتي يجب عليها أن تسعى للخروج منها.

القرآن الكريم يبين مستوى العداء لدى أهل الكتاب ويبين خطورتهم

عندما يتحدث القرآن الكريم عن أولئك الأعداء، فهو يبين لنا مستوى عدائهم، ويبين لنا أيضاً خطورتهم، فهم الأشد عداءً لنا كأمةٍ مسلمة، الأمة الإسلامية لها أعداء كثر، ولها أعداء متنوعون، ولكن الأشد منهم عداوة هم اليهود، كما في القرآن الكريم قال الله -جلَّ شأنه-: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ**﴾[المائدة: من الآية ٨٢]، فقدَّمهم في المرتبة الأولى، ثم قال: ﴿**وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾[المائدة: من الآية ٨٢]، فاليهود هم في المرتبة الأولى من حيث عدائهم الشديد للذين آمنوا، وهذا العداء ليس مجرد حالة نفسية فحسب، هذا العداء **تحته** برامج عملية، **تحته** مؤامرات، **تحته** خطط، **تحته** سياسات، **تحته** أنشطة واسعة وأعمال كثيرة يتحركون بها لاستهداف هذه الأمة، وهذا من أهم ما **يجب** أن نلتفت إليه، فهو أمر غير قابل للتجاهل، لا

يجـدي معه التجاهل، هم- أصلاً- أعـداء يتحركون ابتداءً، ويعملـون بكل ما يمكن أن يروا فيه ضُراً أو خطراً على هذه الأمـة، قـال الله -جلَّ شـأنه- عن عدائهم الشـديد: ﴿**وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ**﴾[آل عمران: من الآية ١١٨]، أنهم يودون كل ما فيه عنت لهذه الأمـة، أنهـم يرغبـون ويحبون ويعملـون علـى كل ما يمثل ضـرراً علـى هـذه الأمة، فـي كل مجـال من مجـالات هذه الحياة، فعندهم الدافع الكبير في أنفسـهم، والرغبة الشديدة فـي أنفسـهم لفعل كل ما يمكـن أن يضرَّ بهذه الأمة، ليسـوا عدواً هادئاً، أو مشـاعرهم باردة وهادئة، وقال عنهم: ﴿**وَإِذَا خَلَوْا عَضُّـوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِـنَ الْغَيْظِ**﴾[آل عمران: من الآية ١١٩]، هم إلى هذا المسـتوى الذي شـبهه بهـذه الحالة من شدة الغيظ، من شـدة الحقد، فيتوفر عندهم الرغبة الشديدة والدافـع الكبيـر للإضـرار بهذه الأمـة، والاسـتهداف لهذه الأمة، وفيهم الحقد الشـديد على هذه الأمة الذي يصل إلى هـذه الدرجة: ﴿**وَإِذَا خَلَـوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ**

الْغَيْظِ﴾، مما يعبر عنه من شدة حقد كبير على هذه الأمة.

قال عنهم: **﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾**، هم يستَّاؤون من أي حسنة تحصلون عليها، من أي نجاح في واقع حياتكم، من أي خيرٍ يتحقق لكم، كل حسنة، أي حسنة تسوؤهم، يستاؤون منها؛ **لأنهم** لا يريدون لكم ذلك، **﴿وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾**[آل عمران: من الآية ١٢٠]، فهم يفرحون بكل سيئة يمكن أن تنال هذه الأمة، أي شيء ينال هذه الأمة، أي سوء، أي شر، أي ضر، أي خطر، أي عناء، أي مصيبة تلحق بهذه الأمة، فهم يفرحون بذلك، ويرتاحون لذلك، وهذا يعبر عن عداء شديد **جدًّا**.

قال عنهم **أيضاً**: **﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾** في المرتبة الأولى **﴿وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾**[البقرة: من الآية ١٠٥]، هم إلى هذا المستوى من العداء لهذه الأمة، لا يريدون لها أي خيرٍ

حتى من الله، ولا يريدون لها أي خيرٍ في واقع حياتها، ولا أن تنهض في واقع حياتها على أي مستوى: حتى على المستوى الاقتصادي، على المستوى العسكري... على كل المستويات، أي خيرٍ، ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ أي خيرٍ مهما كان، هم إلى هذا المستوى من العداء لهذه الأمة، والحقد على هذه الأمة، وأيضاً على مستوى التوجهات العملية الناتجة عن هذا الحقد، الناتجة عن هذه الحالة النفسية تجاه هذه الأمة.

القرآن الكريم يبين الاستراتيجية التي يعتمدها أهل الكتاب لاستهدافنا

ثم يتحدث لنا القرآن الكريم أيضاً: عن استراتيجيتهم، ووسائلهم التي يعتمدون عليها في استهدافهم للأمة، ونجد أن كثيراً من النصوص تبين لنا كيف أنهم يسعون إلى إفقاد هذه الأمة كل عوامل القوة والنصر، ويسعون لإضعافها؛ حتى يصلوا بها إلى مستوى الانهيار التام، ويتمكنون من

السيطرة عليها، مجمل النصوص القرآنية هي تقدم لنا **هذا التصور عنهم**: أنهم يركزون على هذه الاستراتيجية.

هم بالنسبة لهم الله -سبحانه وتعالى- **قد ضرب عليهم الذلة**، وهم يخافون من أن تمتلك الأمة عوامل القوة والنصر فتضربهم؛ **فلذلك** هم يعملون بشكلٍ واسع وبأساليب كثيرة لإضعاف هذه الأمة، وللوصول بها إلى حالة الانهيار، ولسلبها كل عناصر القوة، والحيلولة بينها وبين أن تمتلك هذه العناصر، أو تسعى إلى تنميتها في واقعها، وهذه استراتيجية خطيرة، وهم أيضاً يستغلون كل نقاط الضعف في داخل الأمة، ويوظفونها إلى أقصى حد في استهدافهم لهذه الأمة.

لكي يُفقِدوا الأمة كل عوامل القوة والنصر، هم يركزون ابتداءً- في المقدمة- على الجوانب المعنوية، وعلى الأسس المهمة التي تضمن لهذه الأمة أن تستعيد قوتها، وأن تبني نفسها من جديد، وأن تصل إلى مستوى مواجهة هذا التحدي وهذا الخطر، ولذلك يركزون على التضليل

والإفساد والتطويع لهذه الأمة؛ **من أجل تحقيق هذا الهدف**: ليفصلوها عن الله -سبحانه وتعالى-، ولهذا يقول الله -سبحانه وتعالى- عنهم في القرآن الكريم: ﴿**وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ**﴾[النساء: من الآية ٤٤]، ويقول عنهم: ﴿**وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ**﴾[آل عمران: من الآية ٦٩]، ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا**﴾[البقرة: من الآية ١٠٩]، ﴿**وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ**﴾: لا يريدون لهذه الأمة أن تحمل أي رؤية صحيحة، أي رؤية هادية تنطلق على أساسها في أي مجالٍ من المجالات، فهم يريدون لهذه الأمة الضياع، ويريدون أن تكون أي رؤى تعتمد عليها تكون رؤى خاطئة، رؤى ضالة، رؤى تضيّع هذه الأمة، فهم يتجهون إلى استهداف هذه الأمة على **مستوى الرؤية**: ألَّا تمتلك الرؤية الصحيحة، **معناه**: هناك استهداف واسع من جانبهم على المستوى الفكري، على المستوى الثقافي، على مستوى الرؤية، على مستوى

الأفكار والدراسات، على مستوى السياسات، على مستوى صناعة الرأي العام، فهناك نشاط واسع لهم يركز على **هذه الجوانب**: كيف يعملون على إضلال الأمة، كيف تحمل مفاهيم خاطئة، ثقافات خاطئة، أفكار خاطئة؛ **لأن** الإنسان أول عنصر يحتاج إليه لكي يتحرك بشكل صحيح: رؤية صحيحة، إذا لم يمتلك الرؤية الصحيحة، وتحرك بناءً على رؤية خاطئة ومغلوطة؛ **لن** يصل إلى النتيجة الصحيحة، فهم يسعون إلى أن تكون المفاهيم، الثقافات، الرؤى، الأفكار، لدى أبناء هذه الأمة، خاطئة وغير صحيحة، حتى على مستوى عقائدها الدينية، على مستوى المفاهيم الدينية، هم بذلوا جهداً كبيراً، ومن واقع ما يمتلكونه من خبرة كبيرة في التزييف والتحريف للحقائق، **وقد حرفوا رسالات إلهية سابقة**: رسالة الله إلى موسى، ورسالته إلى عيسى كان اليهود وراء تحريفها، فحرفوا الكلم عن مواضعه، وحرفوا المفاهيم الدينية، وحرفوها تحريفاً رهيباً، ثم اتجهوا للإسلام

فـي جانبه العقائـدي، في مفاهيمه الدينيـة لتحريفها إلى حدٍ كبيـر، وهذا كان له تأثير سـلبي في واقع المسـلمين، أفقدهم الثمرة الحقيقية للإسـلام في رؤيتـه الصحيحة، في مفاهيمه الصحيحة، في عقائده الصحيحة.

وأكثر مـن ذلك يمتدون إلى بقيـة المجالات، لا يريدون للأمة أن تكون لها رؤية صحيحة؛ **لأن** الإسـلام قدَّم منهجية صحيحـة تبنـي الأمة في كل مجالات حياتهـا، وتجعل منها أمـةً قويـة، حتى فـي واقعهـا الاقتصـادي، حتى فـي واقعها العسكري... حتى في كل مجالات حياتها.

فهـم (يسـعون) يريدون ويعملـون بناءً على هـذه الإرادة إلى أن تضل الأمة؛ ولهذا يتسـللون إلى مناهجها الدراسـية، يتسـللون إلـى منابرهـا الإعلاميـة ووسـائلها الإعلاميـة، يتسـللون ويخترقـون خطابهـا الدينـي، ويخترقـون أيضـاً واقعها السياسـي، ثم يحرصـون على أن تكـون التوجهات والسياسـات والمواقـف محرفـةً، وأن يكـون حتـى الـرأي

العام السائد في ذهنية الأمة أن يكون كذلك ضالاً وضائعاً وخاطئاً.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾[البقرة: من الآية ١٠٩]، يعملون على مسخ هذه الأمة في هويتها، وأن يفقدوها إيمانها، إيمانها بالله -سبحانه وتعالى- بكل ما يمثله من أهمية في العلاقة مع الله، والحصول على تأييده، ونصره، ومعونته، ورعايته، وبكل ما يمثله الجانب الإيماني من أهمية على مستوى القوة المعنوية، الدافع المعنوي، القيمة الأخلاقية والإنسانية، عناصر النجاح التي تبنى على تلك القيم وتلك الأخلاق في الواقع العملي، والثمرة التي يمكن أن تتحقق بناءً على ذلك، فهم يسعون إلى ضرب الأمة؛ لأنهم يدركون أن هذا من أهم عوامل القوة لهذه الأمة.

يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[المائدة: من الآية ٦٤]، (وَيَسْعَوْنَ فِي

الْأَرْضِ فَسَادًا)، **(يَسْعَوْنَ)** فهم يعملون بكل جد، وبكل نشاط، وبوسائل وأساليب كثيرة، إلى نشر الفساد في كل مجالات الحياة، **(فَسَادًا)** صيغة التنكير بكل ما تعنيه في كل مجالات الحياة: الفساد في الواقع الاقتصادي، الواقع الأخلاقي للأمة، والواقع الاجتماعي للأمة، والواقع السياسي للأمة، واحدة من الاستراتيجيات الأساسية التي يشتغلون عليها بوسائل وأساليب كثيرة، ويتجهون إلى اختراق الأمة بها.

يقول الله – سبحانه وتعالى – **أيضاً في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾**[آل عمران: الآية ١٠٠]، **العجيب** في هذه الآية المباركة أنه يتحدث عن الطاعة، وعن خطورة الطاعة لهم، **ومعنى ذلك**: أنهم ينجحون – إلى حدٍ كبير – في تطويع الأمة، **يعني**: يسعون إلى أن يحولوا الأمة إلى مطيعة لهم، تتفاعل مع رؤاهم، مع سياساتهم، مع مخططاتهم، مع

مؤامراتهم، مع توجيهاتهم، تتلقى منهم الأوامر، تتفاعل مع ما يقدمونه، وتسعى لتنفذ ما يقدمونه، وهذه حالة رهيبة **جدًّا**، حالة خطيرة، وتدل على خطورتهم البالغة على هذه الأمة، أنهم يمكن أن يصلوا إلى هذا المستوى من النجاح في أن يحولوا هذه الأمة إلى مطيعة لهم، أو يحولوا كثيراً من أبناء الأمة إلى مطيعين لهم، يتقبلون منهم الأوامر، التوجيهات، الخطط، المؤامرات، يتقبلون سياساتهم، يتحركون وفق ما يرسمونه هم، ولديهم وسائل كثيرة لتحقيق هذا الهدف، لديهم الكثير من الأساليب والوسائل التي تساعدهم- أحياناً- إلى الوصول حتى إلى مواقع القرار في هذه الأمة؛ **فيحولوا** رئيساً معيناً، أو ملكاً معيناً، أو أميراً معيناً، إلى مطيع لهم، يسعى لتنفيذ مؤامراتهم وخططهم بكل جدية، ويبذل من أجل ذلك المال، ويتخذ كل المواقف في سبيل تنفيذ خططهم ومؤامراتهم.

وهم- في الآية المباركة كما ذكر عنهم- يسعون من

خلال هذا التطويع إلى مسخ هذه الأمة، وفصلها عن دينها في مفاهيمه الحقيقية، ﴿**يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**﴾، حالة خطيرة **جدًّا**؛ **لأن** سعيهم إلى مسخ هذه الأمة لإفقادها التأييد الإلهي من جانب، وما يمثله الإيمان من عامل ودافع معنوي هائل **جدًّا**، وطاقة معنوية قوية، تحتاج إليها الأمة لتكون في مستوى مواجهة هذا الخطر، والتماسك في مواجهة هذا التحدي، وما يمثله أيضاً من عوامل للنجاح في واقع الحياة.

حذر من التولي لهم، فقال -جلَّ شأنه-: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[المائدة: الآية٥١]؛ **لأنهم** يسعون أيضاً إلى نشر الولاء لهم في واقع الأمة، وهذا له تأثير سلبي خطير في واقع الأمة؛ **لأنه** يحول الذين يتجهون بالموالاة لهم إلى متعاونين معهم؛ لتنفيذ مخططاتهم ومؤامراتهم من داخل الأمة.

هـذا بعضٌ مما عرضـه القرآن الكريـم ويبين خطورتهم، وأنهـم كما الشـيطان الذي سـعى في عدائه لبنـي آدم للتركيز على أن يضلهم؛ **باعتبار** هذا أكبر ضربة قاضية لهم.

من أهم ما تحتاجه الأمة هو فهم طبيعة الصراع مع أهل الكتاب

عندمـا نمتلـك الرؤيـة الصحيحـة عن هـذا العـدو، عن مستوى عدائه، عن خطورته، عن وسائله وأساليبه الواسعة، ندرك أن الجزء العسكري، والجانب العسكري هو جزءٌ من المعركـة معهم، جزءٌ لا بـدَّ منه، ولا بدَّ من الاهتمام به، ولكنه يبقـى جزءاً من هذه المعركة، وأن هذه المعركة واسـعة، تتجه إلى كل مجالات الحياة، وأن نشاط العدو فيها يتعدى موقعه الجغرافـي، يتعـدى الموقع الجغرافـي الذي قـد احتله، فهو يمتد إلى كل الأمة، هذا الخطر في سـعي العدو إلى إضلال الأمـة، وفـي اسـتغلاله لكل ضـلالٍ موجـودٍ فيها مـن قبل،

وسعيه لإفساد الأمة، ولاستغلاله لكل فسادٍ هو موجودٌ فيها أو يتواجد فيها، ولسعيه لرد الأمة عن مبادئها وقيمها الدينية المهمة، التي تصلها بالله، وتصلها برعاية الله، وتصلها بتأييد الله -سبحانه وتعالى-، وأيضاً تفيدها في واقع هذه الحياة، ويترتب عليها نتائج إيجابية، تجعل منها أمةً قويةً ومنيعةً وحصينةً، وأمةً ناجحةً وفاعلة، هذا الخطر من جانب العدو هو يمتد إلى الأمة بكلها، إلى كل الشعوب، إلى كل البلدان، هو يخوض هذه المعركة بهذه الوسائل، ويمتد شره ونشاطه على مستوى أوسع، حتى اللوبي الصهيوني المتواجد مثلاً في أمريكا، أو اللوبي الصهيوني المتواجد في أوروبا هو ينشط على مستوى واسع، ولهذا يأتي الحديث في القرآن الكريم عنهم على نحوٍ أوسع: ﴿**لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ**﴾؛ **لأن** اللوبي اليهودي المتواجد في كل بقعةٍ من بقاع العالم، على مستوى أوروبا، أو أمريكا، هو ينشط على مستوى واسع، اليهود **الصهاينة لديهم مشروع عالمي**، هم يتحركون على مستوى

واسع، وليسوا فقط يتجهون إلى نقطة وزاوية محدودة كل اهتماماتهم تنحصر عليها، وكل أعمالهم تتركز فيها، |الا| إنما يتجهون هذا التوجه الواسع والعام.

وهذا يعطينا رؤية أيضاً عن طبيعة الصراع معهم، ومن أوجب ما **يجب** أن نستوعبه كأمةٍ مسلمة هو طبيعة الصراع مع أهل الكتاب، طبيعة الصراع مع اليهود الصهاينة، وأن المسألة لا تنحصر على الجانب العسكري، ولا بدَّ فيها من الجانب العسكري، هو جزءٌ أساسيٌ من هذه المعركة، وجزءٌ رئيسيٌ في هذه المعركة، ولكن حتى هو يرتبط بمقومات وعناصر لا بدَّ منها؛ **لكي** يكون فاعلاً، ولكي يكون ناجحاً، كما تحدثنا في المقارنة بين الأداء العسكري لحزب الله، وكيف كان ناجحاً وفعالاً بالرغم من الإمكانيات على مستوى العدد والعدة المتواضعة، في المقارنة بما امتلكته جيوش عربية خاضت معركتها العسكرية بدون تلك المقومات اللازمة للنجاح وفشلت.

عناصر النجاح للرؤية التي اعتمد عليها القرآن الكريم في مواجهة أهل الكتاب

أولاً: لا بد للأمة من قيادة واحدة ومنهج واحد

هنا نعود إلى القرآن الكريم أيضاً في حديثه عن الرؤية التي يجب أن تعتمد عليها الأمة لمواجهتهم؛ لأن القرآن الكريم قدم الهداية الكافية عن ذلك، لاحظوا بعد قوله -جلَّ شأنه-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾[آل عمران: الآية ١٠٠]، خطر كبير جدًّا، أكبر ضربة يمكن أن توجه لهذه الأمة عندما تطوَّع لهم، وتصبح مطيعةً لهم، ثم يتمكنون من خلال ذلك من إبعادها عن مبادئها الدينية العظيمة، وعن قيمها الدينية المهمة، يقول الله -جلَّ شأنه- بعد ذلك: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ

﴿مُسْتَقِيمٍ﴾[آل عمران: الآية ١٠١]، نجد أن الله -سبحانه وتعالى- قد هدانا هنا إلى ركيزتين أساسيتين، لا بدَّ منهما كمتطلبات رئيسية لخوض هذا الصراع، ولخوض هذه المعركة:

أولها: عندما قال -جلَّ شأنه-: ﴿وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾، ليقدم لنا أنه لا بدَّ لنا من العودة إلى القرآن الكريم، وإلى آياته المباركة التي فيها ما يحصننا ويحمينا من هذا التأثير الخطير، الذي قد يصل بالأمة إلى مستوى التطويع، وأن تكون مطيعةً لهم.

والركيزة الأخرى: يقول: ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾، كقيادة هادية بهذا الكتاب، بهذه الآيات المباركة، على المستوى الإرشادي وعلى المستوى العملي وهو يتحرك بالأمة في كل مجالات الحياة على أساس هذا الهدى المبارك، فنجد أنه هدى إلى هاتين الركيزتين كأولى متطلبات خوض هذا الصراع، والدخول في هذه المعركة، لا بدَّ لنا في- البداية-

من منهج نعتمد عليه، نتحرك على ضوئه، نكتسب منه الرؤية اللازمة لمواجهة هذا التهديد وهذا الخطر، وهذا المنهج يتمثل في القرآن الكريم، ولا بدَّ من قيادة، في هذه المعركة نحتاج إلى قيادة، لا يمكن أن نخوض معركة بدون قيادة، أن نواجه تحدياً وخطراً بدون قيادة، لا بدَّ من قيادةٍ هاديةٍ بهذا الكتاب، تهدينا بالإرشاد، وتهدينا على المستوى العملي وهي تتحرك بنا وتنطلق بنا على ضوء هدي هذا الكتاب، وهذه الآيات المباركة، ولذلك قال -جلَّ شأنه-: ﴿**وَفِيكُمْ رَسُولُهُ**﴾، كقيادة دينية عظيمة، مرتبطة بهذا الكتاب، مقترنة بهذه الآيات، وتهدي بها.

هاتان الركيزتان والمقومتان الأساسيتان لا بدَّ منهما في خوض هذه المعركة، إذا اتجهت الأمة بدون هاتين الركيزتين يمكن أن تفشل، يمكن أن تخسر، لا يمكن أن تربح هذه المعركة.

ثانياً: الالتجاء العملي إلى الله من موقع الوعي

يقول الله -جلَّ شأنه- **أيضاً**: ﴿**وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾، ليرشد وليدل على ضرورة الاعتصام بالله، بما يفيده من التجاء إلى الله -سبحانه وتعالى- من موقع الوعي والإدراك لمستوى هذا الخطر الكبير الذي يتهددنا، وهذا الالتجاء هو التجاءٌ عملي، التجاءٌ إلى الله -سبحانه وتعالى- بالسير على أساس هديه، على أساس تعليماته، ففي هذه المعركة لا بدَّ من الارتباط بالله -سبحانه وتعالى-، لا بدَّ من العودة إلى الله، لا بدَّ من الثقة بالله، لا بدَّ من التوكل على الله، لا بدَّ من الاعتماد على الله، ولا بدَّ من أن يكون هذا الالتجاء ليس التجاء الذين ينكفئون على الدعاء فحسب، ويقولون: [سندعو الله أن يقضي على إسرائيل]، هؤلاء الذين يتجهون اتجاه بني إسرائيل الذين قالوا لموسى -عليه السلام-: ﴿**فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾[المائدة: من الآية ٢٤]، إحالة هذه المعركة إلى الله، الله

هو الغني، هو القاهر العزيز، هو -جلَّ شأنه- من يقدر على أن يسلبهم حياتهم في لحظةٍ واحدة، هم تحت سيطرته وقهره وسلطانه، لكنه لا بدَّ من الالتجاء العملي الحركي، الذي تتحرك فيه الأمة في كل المسارات التي يرشد القرآن الكريم إلى التحرك فيها، ولهذا قال الله -جلَّ شأنه-: ﴿**فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾؛ **لأن** هذا الالتجاء مبنيٌّ على أساس التحرك، ولهذا تأتي الهداية، التحرك العملي، ﴿**فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾.

ثالثاً: التقوى عنصر أساسي في تحقيق النصر في مواجهة أهل الكتاب

يرشد بعد ذلك إلى أهمية التقوى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾[آل عمران: من الآية ١٠٢]، وفي هذا السياق حصراً، وفي هذا الموضع تحديداً من القرآن الكريم يأتي الأمر بالتقوى بأعلى درجات التقوى؛ **ليحذر** بأشد عبارات

التحذير من التقصير والتفريط في هذه المسؤولية؛ **لأنه** عندما يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾، ولم يأت الأمر في القرآن الكريم بالتقوى بهذه الصيغة إلا في هذا الموضع، ليبين هنا أن الأمة في أحوج ما تحتاجه إلى أن تكون على أعلى درجة من التقوى، ومن الحذر من التفريط في هذه المسؤولية، والتفريط في مواجهة هذا الخطر الذي يهددها في دينها، في مبادئها، في أخلاقها، في قيمها، وبالتالي في حياتها وفي دنياها، يحتاج إلى التحلي بأعلى درجات المسؤولية والانتباه والاهتمام، ﴿**وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[آل عمران: من الآية ١٠٢]، فهذا خطر يهددكم في مبادئكم، في إيمانكم، قضية خطيرة للغاية، يبين لنا مستوى الخطورة الرهيبة **جدًّا**.

رابعاً: الاعتصام بحبل الله جميعاً على أساس المنهج الواحد والرؤية الواحدة

ثم يرشد الله إلى الاعتصام بحبله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، فيما يفيده أن تكون الانطلاقة لمن يتحركون على هذا الأساس أن تكون انطلاقةً جماعية، تحركاً جماعياً على أساس منهجٍ واحد ورؤيةٍ واحدة (حبل الله)، سماه حبله، على أساس أن تكون الكلمة مجتمعةً على منهجٍ واحد ورؤيةٍ واحدة، هي الرؤية التي قدَّمها الله -سبحانه وتعالى- في كتابه الكريم، وانطلاقةً عمليةً جماعيةً، وليست فردية، وليست مشتتة، بل تتجه كل الجهود على أساس هذا التحرك الجماعي كمسؤوليةٍ جماعية، ويحذر من التفرق: **﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾**؛ لأن التفرق من أهم ما يستفيده العدو، لا نجاح لأي مشروع يدخل فيه التفرق، لمواجهة هذا الخطر الكبير.

ثم يذكِّر بنعمة الله -سبحانه وتعالى- بالألفة: ﴿وَاذْكُرُوا

نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾، ليرشد إلى أهمية الألفة كعامل مهم لا بدَّ منها؛ **لكي** يتحقق هذا التحرك الجماعي، وهذه الانطلاقة الجماعية، ﴿**فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[آل عمران: ١٠٣-١٠٤]؛ **لكي** يؤكد أنه لا بدَّ أن تتجه الأمة هذا التوجه الذي يصحح وضعيتها من الداخل، ويبنيها بناءً صحيحاً في الدعوة إلى الخير، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر بالمعروف بمفهومه الواسع الذي يأتي إلى كل مجالات الحياة فيصلحها، والنهي عن المنكر بمفهومة الواسع الذي يأتي إلى كل المجالات فيصححها، ويزيح عنها كل مظاهر الخلل التي

يستغلها الأعداء، والتي تمثل نقاط ضعفٍ لخدمة الأعداء، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

ثم يحذر من جديد من التفرق والاختلاف: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران: الآية ١٠٥]، هكذا نجد أيضاً خطورة التفرق والاختلاف على الأمة في واقعها، وما يمكن أن يمثله من فرصة كبيرة يستغله أعداؤها من الداخل، ويمثل إعاقة حقيقية لنجاح الأمة في مواجهة هذا الخطر.

خامساً: أن نكون ممن يحبهم ويحبونه

في سورة المائدة بعد أن حذَّر من الموالاة لهم، واعتبرها جرماً من أكبر الجرائم، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، حذَّر أيضاً من الموالاة لهم، وكشف حقيقة من يتجه هذا التوجه المنحرف، قال -جلَّ شأنه-: **﴿فَتَرَى الَّذِينَ**

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾[المائدة: من الآية ٥٢]، فالذين ينحرفون ويتجهون للمسارعة فيهم والموالاة لهم- مهما كانت مبرراتهم- الواقع الحقيقي لهم أن في قلوبهم مرضا، حالة الانحراف هي في داخلهم؛ **فلذلك** اتجهوا هذا التوجه المخالف لتوجيهات الله -سبحانه وتعالى-.

ثم قال -جلَّ شأنه- **فيما بعد هذه الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾**[المائدة: ٥٤-٥٦].

يقدم في هذه الآيات المباركة كذلك الرؤية العملية، التي هي رؤية تمثِّل نجاحاً للأمة، ومضمونة النجاح؛ **لأنها** تحظى بالدعم من الله -سبحانه وتعالى-، والتأييد من الله -سبحانه وتعالى-، لا بدَّ من هذه المواصفات القرآنية التي قدَّمها القرآن الكريم: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ**﴾، وهذا وعد إلهي، وعد من الله أنه سيأتي بهؤلاء القوم؛ **إنما** كيف يسعى الإنسان ليكون منهم، ليكونوا هم الذين يواجهون هذا الخطر وهذا العدو من داخل الأمة، بكل نجاح، بكل اقتدار، وبنصرٍ وتأييدٍ من الله -سبحانه وتعالى-.

يقدم هذه المواصفات: ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾، عن طبيعة علاقتهم بالله -سبحانه وتعالى-، ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾، في واقعهم الداخلي، في أخوتهم فيما بينهم من التعامل، ﴿**أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾، فهم على العدو أعزة، أقوياء، جريئين، ويمتلكون العزة الإيمانية، ﴿**يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾،

وهم يتحركون وينهضون بمسؤولية الجهاد في سبيل الله بكل ما تشمله من مجالات: على المستوى العسكري، على المستوى الأمني، على المستوى الاقتصادي، على المستوى السياسي، على المستوى الإعلامي... كل ميدان من ميادين هذه الحياة، وكل مجال من مجالات هذه الحياة ينطلقون فيه استجابةً لله -سبحانه وتعالى-، ووفق الرؤية التي رسمها الله -سبحانه وتعالى-.

يقول عنهم: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾؛ لأن الله يعلم كم سيكون الإعلام في خدمة اليهود، كم سيشتغل الإعلام وكل وسائل اللوم تحت كل العناوين، حتى العنوان الديني، من كل من يعملون لخدمة اليهود، ولكن هؤلاء القوم الذين يتحركون بهذه الفاعلية هم على هذا المستوى الراقي، فلا يكترثون ولا يبالون بلوم اللائمين، **﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾**.

سادساً: التولي لله ولرسوله وللإمام علي

ثم يؤكّد على قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، فيما يحصِّن الأمة من التولي لليهود والنصارى بالإيمان بولاية الله -سبحانه وتعالى-، وما يندرج تحتها وامتداداتها الممتدة إلى الرسول -صلوات الله عليه وعلى آله-، إلى الإمام علي -عليه السلام-، **ثم يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾**، لتكون النتيجة الحتمية لهذا التولي العملي الذي يدخل تحته الكثير من التفاصيل العملية، والالتزامات العملية، لتكون النتيجة الحتمية قوله -جلَّ شأنه-: **﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾**.

فنجد في الرؤية القرآنية عرضاً مهماً وواضحاً، يبين لنا ما هي عناصر النجاح التي نحتاج إليها في مواجهة هذا

الخطر وهذا التحدي، ونجدها تتجه بشكلٍ رئيسي إلى داخل الأمة: يأتي التحذير من التولي إلى داخل الأمة، يأتي الحديث الذي يعبئ الأمة بالعداء لأولئك باعتبارهم أعداء، يبين كل جوانب خطورتهم؛ **ليتبين** لنا أنَّ طبيعة المعركة معهم ليست معركةً محدودة، ولا تقتصر على مجالٍ دون مجال، وأنها تدخل إلى كل المجالات، وأنه خطرٌ يمتد إلى الناس إلى واقعهم، وقد وصل بالفعل، وصل من خلال النشاط التضليلي الهائل الذي يأتي عبر كثيرٍ من الوسائل إلى مختلف بلدان عالمنا الإسلامي، الذي يستهدف الرأي، يستهدف الفكر، يستهدف الأخلاق، يستهدف السلوك، يستهدف الأمة؛ **فيفقدها** إحساسها بالمسؤولية، يعمل على إفساد النفوس، وضرب زكاء النفوس.

فالرؤية القرآنية هي تتجه بشكلٍ واضحٍ وبشكلٍ رئيسي إلى تحصين الأمة من الداخل، وبنائها من الداخل، وتربط **ما بين** الموقف كموقف واضح وصريح وعلني، وفيه

خطـوات عملية، وتحـرك جاد، **وما بين** كذلـك عملية البناء للأمة في كل مجالات الحياة، **وما بين** أيضاً أن تتحرك الأمة في مسـيرةٍ عملية لتصحيح وضعها مـن الداخل، وأن تكون فـي حركتها هـذه كلها منطلقةً مـن الركيزتين الأساسـيتين: ﴿**وَأَنْتُـمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُـولُهُ**﴾[آل عمـران: من الآية ١٠١]، **المنهج الإلهي العظيم، والقيادة الهادية بهذا الكتاب**، التي تتحرك بنا على ضوء منهج الله -سبحانه وتعالى- وهديه الواسع.

ما الذي يجب علينا اليوم؟

مـن هنا نـدرك أنَّ المعركة هـذه تمتد إلـى كل مجالات الحيـاة، وأنَّ علينـا أن نجعـل مـن هـذه المعركـة، أو من هذا التحـدي ومـن هـذا الخطـر حافـزاً للانطلاقة فـي كل واقع حياتنـا؛ **لنبنـي** واقعنا في كله على أسـاس أننـا نخوض هذه المعركة، أننا أصحاب قضية، أننا نواجه هذا التحدي، أن نبني

واقعنا الإعلامي على هذا الأساس، **ولاحظوا** كم يمكن أن يختلف الجانب الإعلامي **لو بني على هذا الأساس**: أننا نخوض معركة، أنَّ علينا أن نحصن واقعنا الإعلامي من الاختراق، ثم أن نفعِّله أيضاً في هذه المعركة؛ **ليؤدي** الدور المطلوب منه على المستوى التوعوي للأمة، وعلى المستوى التعبوي للأمة.

ثم عندما نأتي إلى الجانب السياسي، عندما نأتي إلى الجانب الاقتصادي، أن نبني اقتصادنا لنكون أمةً منتجة، ومقتدرة، وممتلكة للاكتفاء الذاتي، وأمة تبني اقتصادها داخلياً، ولا تحوِّل نفسها إلى سوقٍ استهلاكي لصالح أعدائها، على المستوى العسكري: كيف نتجه **على المستوى** المعنوي والإيماني، **وعلى مستوى** امتلاك القدرات والخبرات اللازمة لخوض هذه المعركة، وكيف يكون الموقف من العدو موقفاً واضحاً.

يتضح لنا أيضاً خطورة الدور السلبي للمنافقين في داخل

الأمـة الذين يعملون على تعميم حالـة الولاء للعدو، وعلى الشغل في هذا الاتجاه تحت أساليب كثيرة، وبعناوين كثيرة، ظهـر منها- مؤخراً- عنـوان التطبيع مع العدو الإسـرائيلي، الذي يشتغلون عليه.

هم عندما يحاربون كل صوتٍ يناهض الهيمنة الأمريكية، ويعـادي إسـرائيل، هم يعملـون لخدمة العدو الإسـرائيلي، هم يشـتغلون لأن تصبح الحالة السـائدة فـي الأمة هي حالة الموالاة لهذا العدو.

علـى كلٍ نحن قدَّمنا عناوين مختصرة؛ لأن هذا الموضوع هـو موضوع كبير، موضوع يتعلق بمسـيرةٍ عمليـة، التثقيف فيها يسـتمر، التوعية فيها تسـتمر، الرؤية فيها رؤيةٌ متكاملة، وتتجـه إلـى كل واقعنا فـي هذه الحيـاة، **فـي كل مجالاتها:** علـى المسـتوى الثقافـي، علـى المسـتوى العسـكري، علـى المستوى الاقتصادي، على المستوى السياسي، على المستوى الإعلامي، رؤية متكاملة، لا يتسـع الحديث للكلام بشـكلٍ

تفصيلي كامل عنها، ولكن هذه هي الملامح العامة لهذه الرؤية القرآنية التي هي مستفادةٌ من هدى الله -سبحانه وتعالى-، **ولا بدَّ** منها لخوض هذا الصراع باقتدار وبكفاءة عالية.

ما الذي حدث عندما تبنى شعبنا هذه الرؤية القرآنية

ولاحظوا، عندما بدأ التحرك على أساس هذه الرؤية القرآنية، على مستوى واقعنا في اليمن مثلاً، كيف كان انزعاج الأمريكيين، وكيف كان انزعاج الإسرائيليين، اليوم الدور الأمريكي بارزٌ وواضحٌ ومكشوف في تبني المعركة على شعبنا اليمني، والانزعاج الإسرائيلي، والإسهام الإسرائيلي في المعركة في العدوان على شعبنا اليمني، هو أيضاً بارزٌ وواضحٌ ومعلن، الإسرائيلي يعلن أنَّ من مصلحته المباشرة أن تتمكن قوى العدوان من ضربنا في اليمن، ومن السيطرة على هذا البلد، وأنَّ ذلك يمثل خدمة لإسرائيل، ويتحدث عنا كأعداء، ويتحدث عن مخاوفه من جانبنا

فـي هـذا البلد كأمـة لها هـذا التوجه، تنطلق مـن خلال هذه الرؤيـة، لها هذا الموقف الصريح والمعلـن والواضح والجاد والصادق.

ولاحظـوا أيضـاً الإيجابية الكبيـرة والفاعلية الملموسـة لأداء حزب الله في لبنان، لأداء المقاومة الإسـلامية في غزة، ولأداء أحرار الأمة، ونجد أيضاً مدى خوف العدو من إيران (الجمهوريـة الإسـلامية فـي إيـران)؛ لانطلاقتهـا الإيمانية، وموقفها الواضح والمعلن.[1]

❖❖❖

(١) محاضرة السيد القائد بمناسبة يوم القدس العالمي لعام ١٤٤١هـ.

واقع الأمة تجاه أهل الكتاب

تحدثنا سابقاً عن الخطر الأمريكي والإسرائيلي، وعن مسؤوليتنا- كأمةٍ مسلمة- في التصدي لهذا الخطر الرهيب، الذي يمس بنا في انتمائنا الإيماني والديني، ويمس بمبادئنا، ويشكِّل تهديداً علينا في قيمنا وأخلاقنا، ومستوى التزامنا الإيماني والأخلاقي، **وتحدثنا أيضاً عن خطورة التفريط في ذلك على ضوء الآيات القرآنية المباركة.**

ولأن هذه المسألة مما فيها انقسامٌ وخلافٌ وجدلٌ كبيرٌ بين أبناء الأمة، فهي من المسائل التي يحتاج فيها الإنسان إلى وعيٍ عالٍ، وإلى بصيرةٍ ويقين؛ **حتى** يتحرك على بيِّنةٍ من الله -سبحانه وتعالى-، لا يتأثر بأي دعايات، ولا شائعات، ولا أي شبهات، ولا أي تشكيك في محاولة صده عن اتخاذ الموقف الصحيح المسؤول الذي يوجِّه إليه الله -سبحانه وتعالى- في كتابه الكريم.

وكما قلنا: إنَّ هذه المشكلة مما يقصِّر فيها الكثير من الناس، فلا يلتفت إليها بجدية، ولا يتجه بجد واهتمام لمعرفة ما ينبغي عليه من خلال القرآن الكريم، من خلال توجيهات الله -سبحانه وتعالى-، وليس وفقاً لأي آراء، أو ترجيحات شخصية، أو أهواء نفسية، أو أهواء للآخرين، أو تعامل بقصور نظر، وبدون اهتمام، وبشكلٍ ارتجالي من دون تأمل، ومن دون تفهم.

من العجيب أن مسألةً بهذا الوضوح محط خلاف وجدل

ومن العجيب جدًّا أن تكون مسألة بهذا الحجم، وبهذا المستوى الكبير من الوضوح، هي في غاية الوضوح؛ أن تكون محل انقسام وخلاف وجدل في داخل الأمة؛ لأنها من أوضح القضايا على مستوى الواقع، وعلى مستوى القرآن الكريم:

على مستوى الواقع: الكل يعرف بأنَّ العدو الإسرائيلي هو عدوٌ حقيقيٌ وفعليٌ للأمة، وأنه معتدٍ على أبناء هذه الأمة،

وما فعله بشعبنا الفلسطيني الذي هو جزءٌ من هذه الأمة، وما احتله من مقدسات وأرض هي جزءٌ من مقدسات وأرضي وبلدان هذه الأمة، هذا أمرٌ معروف، قد يكون هناك قصور كبير في تقييم وتشخيص مستوى الخطورة، ومجالات هذا الخطر، وامتدادات هذا الخطر من جانب العدو الإسرائيلي، لا شك أنَّ هناك قصوراً في الوعي والاستيعاب لذلك، ولكن إجمالاً هناك وضوحٌ تام في المسألة.

كذلك العدو الأمريكي عدوٌ واضحٌ وصريحٌ للأمة، ودوره مع إسرائيل دورٌ مرتبط، ودورٌ مقترن، ودورٌ متلازم، فهما وجهان لعملةٍ واحدة، وهو أكبر داعم وحاضن وراعٍ للعدو الإسرائيلي، ويقف إلى جانبه بكل وضوح، **ويتآمر معه في كل المجالات**: على المستوى السياسي، يدعمه عسكرياً، يدعمه اقتصادياً، يتبناه بشكلٍ كامل، ويوفر له دعماً مفتوحاً، وفي نفس الوقت آخر ما قدَّمه هو ما عرف بصفقة القرن، التي هي في غاية الاستهتار والسخرية بالأمة

الإسلامية جمعاء، وما فعله الأمريكي في العراق، في أفغانستان... في مناطق أخرى من الأمة، في مؤامراته على شعوب هذه الأمة، مسألةٌ في غاية الوضوح.

ثم على مستوى القرآن الكريم: عندما نعود إلى القرآن الكريم في حديثه عن أعدائنا من أهل الكتاب، هم من يتجلى في واقعهم- على أوضح ما يكون، وعلى أبين ما يكون- أنهم تنطبق عليهم تلك المواصفات القرآنية في عدائهم الشديد للأمة، في مؤامراتهم ضد هذه الأمة، أنهم من يتجهون في هذا الزمن كفريقٍ هو فريق الشر من أهل الكتاب، فريق الغدر، فريق المكر، الفريق الذي يعادي هذه الأمة، ويستهدف هذه الأمة، ويتآمر بكل أشكال وأنواع المؤامرات على هذه الأمة، ويستهدف هذه الأمة في كل المجالات، له برنامج كبير، وأعمال واسعة، واهتمامات كثيرة، وأنشطة واسعة: على المستوى السياسي، على المستوى الإعلامي، على المستوى الاقتصادي... يشتغل بوضوح،

هو حاضر في ساحتنا الإسلامية بشكلٍ مباشر، وعبر أدواته من الموالين له، الذين يستغلهم ويستخدمهم كأدوات؛ **لتنفيذ** الكثير من مؤامراته، التي لا يتمكن من تنفيذها بشكلٍ مباشر، أو لا يحتاج إلى تنفيذها بشكلٍ مباشر.

فالقرآن الكريم في حديثه الواسع عن هذا الفريق (فريق الشر والغدر والمكر والكفر من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى)، قد قدَّم ما يكفي هذه الأمة لتكون على أعلى درجةٍ من الوعي، وعلى أعلى مستوى من استشعار المسؤولية، وعلى وضوحٍ تام فيما ينبغي عليها أن تفعله لتواجه هذه الحرب، التي هي حرب قائمة- بالفعل- عليها في كل المجالات، ولكنه المرض، المرض الذي يجعل البعض من الناس لا ينفع فيهم هذا الواقع الواضح، وهذه الأحداث البينة، أحداث كبيرة، وأحداث مستفزة، وأحداث مؤلمة، عداءٌ فيه إضرارٌ واضحٌ بالأمة، فيه استهدافٌ واضحٌ للأمة، **بكل أشكال الاستهداف**: القتل اليومي، الإذلال

لهـذه الأمة، الظلم، الاضطهاد، القهـر، الاحتلال، المصادرة للممتلكات، الاستهداف على المستوى القيمي والأخلاقي، على المسـتوى الثقافـي والفكري، ألا ينبغـي أن تكون الأمة مسـتفزة تجـاه عدوٍ يفعـل كل هذا بهـا؟ حادثـة واحدة كان يفترض أن تكون مسـتفزة لهذه الأمة، العمل بشـكلٍ واضح للاستهداف لهذه الأمة في رموزها الدينية، حتى وصل ذلك إلى درجة الإسـاءة المعلنة والصريحة إلى رسـول الله محمد -صلوات الله عليه وعلى آله-، السـخرية مـن القـرآن الكريم، السخرية من الإسلام جملةً وتفصيلا.

يفترض بهذه الأمة أن تتحرك بكل جدية لمواجهة الخطر

مستوى العداء من الإسرائيلي ومن الأمريكي، وما فيه من تحركٍ واسع، ومؤامراتٍ واضحة، واستهدافٍ جليٍ وواضح على كل المستويات، هو بالشكل الذي يفترض بهذه الأمة أن

تكون في غاية الاستفزاز، وأن تتحرك بكل جدية، وباستشعارٍ عالٍ للمسؤولية في التصدي لعدوٍ بهذا المستوى. ثم- كما قلنا- النصوص القرآنية، والآيات الواضحة، والتوجيهات من الله -سبحانه وتعالى- في كتابه الكريم، يفترض أن تكون كافيةً في أن يندفع الإنسان، وأن يستشعر هذا الخطر، وأن يستشعر مسؤوليته في مواجهة هذا العدو.

أهل الكتاب وخطرهم على الأمة من الداخل

القرآن الكريم قدَّم تشخيصاً عجيباً، وبياناً عجيباً، يعني: عندما نرى أنَّ القرآن الكريم- وبالخصوص تجاه هذا العدو: العدو من أهل الكتاب- ركَّز بشكلٍ كبير على توجيه خطابه إلى الأمة فيما يتعلق بواقعها الداخلي، نجد هذا من الشواهد التي تزيد الإنسان إيماناً بالله -سبحانه وتعالى-، وإيماناً بكتابه، وإيماناً بأنَّ القرآن وآياته البينات وهديه العجيب أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض، ويعلم الغيب

والشهادة، ويعلم ما في الصدور، يعلم بذات الصدور، يعلم بخفايا النفوس؛ **لأن** القرآن الكريم جعل حديثه بشكلٍ رئيسي في هذا الموضوع يتوجه إلى الأمة في واقعها الداخلي محذراً لها وفق عنوانين: **من التولي لهذا العدو، ومن الطاعة لهذا العدو، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾**[آل عمران: الآية ١٠٠]، وكان هذا من العجيب، في بداية الأمر عندما تلحظ هذه النصوص القرآنية كيف **(الَّذِينَ آمَنُوا)** ويفترض بهم أن تكون منطلقاتهم في هذه الحياة على أساس هدي الله وتوجيهاته، أن يكونوا مطيعين لله -سبحانه وتعالى-، أن يترسخ عندهم مبدأ الطاعة لله فوق كل شيء، وأن يبنوا مسيرة حياتهم على هذا الأساس، أن يكون ولاؤهم لله -سبحانه وتعالى-، وأن يؤمنوا بولايته، فيكون التولي لله -سبحانه وتعالى- بالنسبة لهم التزاماً عملياً في مسيرة حياتهم، يبنون عليه مواقفهم، يبنون عليه توجهاتهم، يبنون عليه

أعمالهم... يبنون عليه كل ما يتعلق بمسؤولياتهم في هذه الحياة، فكيف يأتي التحذير لهم من أن يطيعوا مَنْ؟ يطيعوا فريق الشر، فريق الغدر، فريق الكفر من أهل الكتاب، من أن يتخذوا اليهود والنصارى أولياء بدلاً عن الله -سبحانه وتعالى-، في الوقت الذي لا يزالون يعتبرون أنفسهم من الذين آمنوا، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، وفي الوقت الذي تعتبرون أنفسكم لا زلتم فيه أنتم الذين آمنوا تتجهون هذا الاتجاه: بالطاعة أو بالولاء لأهل الكتاب، لهذا العدو، ولفريق الشر من أهل الكتاب، ويقدِّم المسألة بأنها في غاية الخطورة، في الوقت الذي يحذِّر منها، يقدِّمها بأنها في غاية الخطورة، إلى درجة أنها ستمس بانتمائك الإيماني، بمصداقيتك في إيمانك؛ **لأن** هناك يقول: ﴿**يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**﴾، وهناك في الآية الأخرى يقول: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾[المائدة: من الآية٥١]، بعد أن قال: ﴿**بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾[المائدة: من الآية ٥١].

ولاحظوا، حتى في قوله -جلَّ شأنه-: ﴿**بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ فهم في واقع الحال يتولون بعضهم بعضاً، في الوقت الذي لا يزال اليهودي يهودياً، والنصراني نصرانياً، من حيث الانتماء العقائدي، لكنه التوجه في الموقف، والتوجه في العمل، والتوجه في المؤامرات ضد هذه الأمة، وغير غريبٍ في واقعهم ذلك؛ **لأنها** تشابهت قلوبهم، أهدافهم، نواياهم، توجهاتهم، وكذلك لما عندهم هم في واقعهم من الخلل الكبير، ليس عندهم تركيز- أصلاً- على الالتزام الإيماني، والإنساني، والأخلاقي، والقيمي، منطلقاتهم منطلقات أخرى، بعيداً عن أي التزام ديني، أو أخلاقي، أو إنساني، أو قيمي بالنسبة لهم.

لكنَّ حالنا كمسلمين، حال الذين آمنوا، يفترض أن يكون مختلفاً عنهم، حيث المنطلقات تبنى على أساس أن تكون منطلقات محسوبة بحساب الإيمان، بحساب القيم، بحساب الأخلاق، بحساب المبادئ الإلهية، وهذا

ما يفترض أن نـدرك به أننا نختلف عنهم؛ وبالتالي لا يمكن أن نجتمع معهم في موقف، في توجه، في مسـار عملي، في سياسـات واحدة، في توجهات واحـدة؛ لاختلاف المواقف فـي منطلقاتها؛ **وبالتالي** في أهدافها وغياتها ونتائجها، وهذا ما **يجب** أن يجعلنا في اتجاه مختلف عنهم.

أمَّـا هم فمـن الطبيعـي، ﴿بَعْضُهُـمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْضٍ﴾، مـن الطبيعي أن يكونوا كذلك، فهم متشـابهون في السـوء، فـي المكـر، في الكفر، في الغدر، في الشـر، في الفسـاد، في الإجـرام، في الأطـماع، في النزعـة الاسـتعمارية... إلى غير ذلك.

النتيجة الحتمية لموالاة أهل الكتاب!

فـي واقـع الحـال بالنسـبة لنـا عندمـا يحـدث مثـل هذا الانحـراف، فهو يدل علـى انحرافٍ خطيرٍ **جـدًّا**، وهو- في

واقع الحال- يعتبر جرماً عظيماً؛ **ولذلك** قدَّم توصيفاً لهذا الجرم في قوله: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾، وقدَّم توصيفاً في الآية الأخرى: ﴿**يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**﴾، **فهذا- بحد ذاته- يبين مستوى الخطورة.**

لو أتى الإنسان ليقدِّم وجهة نظرٍ أخرى: فيعتبر أنه من الممكن الطاعة لهم، دون أن يكون لهذه الطاعة أي تأثيرات على انتمائك الإيماني، ويمكن التولي لهم، والوقوف معهم في موقفهم، والتحالف معهم، دون أن يحصل عليك هذا التوصيف، دون أن تتحول إلى هذا المستوى في بُعدك عن انتمائك الإيماني إلى درجة أن يقول: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾، فإنَّ هذا كفرٌ بالقرآن، ردٌ لآيات الله -سبحانه وتعالى-، الذي يتصور أنَّ بإمكانه الطاعة لهم، وأن يبقى مؤمناً كامل الإيمان، ويطيعهم ولو في بعض الأمر، والذي يتصور أن بإمكانه أن يتحالف معهم، وأن يواليهم، وأن يقف معهم في مؤامراتهم ضد أبناء الأمة، وبتصوره أنَّ هذه

مسألة تصفية حسابات مع هذا الطرف أو هذا أو ذاك الطرف من أبناء الأمة، فهو هنا يتصور أنه سيبقى سليم الولاء لله -سبحانه وتعالى-، وأنه سيبقى أيضاً على مصداقيةٍ في انتمائه للأمة؛ فهو يكفر ويجحد بقوله -سبحانه وتعالى-: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾.

هذه النتائج التي تترتب على مسألة الطاعة، وتترتب على مسألة الموالاة لهم، هي نتائج حتمية، لا شك فيها، لا مرية فيها، فلا يمكن أن يتجه الإنسان هذا الاتجاه، **إلا** وتكون النتيجة هي هذه النتيجة؛ **لأن** الذي يقول لنا ذلك ليس محللاً صحفياً، وليس زعيماً سياسياً، إنَّ الذي يقول لنا ذلك هو الله -سبحانه وتعالى- في محكم آياته، في كتابه المبارك، في كتابه (القرآن الكريم) الذي: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ [فصلت: من الآية ٤٢]، **أفلا ندرك خطورة هذا الأمر**؟ أفلا ندرك خطورة هذه المسألة؟ فكيف تتحول هذه المسألة إلى جدل كبير، وانقسام واضح في واقع الأمة،

فيتجه البعض من أبناء الأمة في تحالفات واضحة مع أمريكا ومع إسرائيل، ويتجه البعض من أبناء الأمة إلى التنصل عن أي موقف تجاه هذا الخطر، وإلى معارضة ومعاداة من يتبنى موقفاً على ضوء آيات الله -سبحانه وتعالى-، على ضوء توجيهات القرآن الكريم، على ضوء هدي الله المبارك، معارضته، والإساءة إليه، والتشكيك في موقفه، والمعارضة الصريحة والواضحة له؟

ولاحظوا لأن المسألة هي- بالفعل- ليست مجرد موقفٍ عارض، بل مسألة يبنى عليها التوجهات، تبنى عليها المسارات العملية، تبنى عليها المواقف المستمرة، تتحول إلى منهجية عمل، وإلى مسارٍ في الطريق إلى نهايته، إلى آخره، ليست المسألة مسألة مجرد موقفٍ محدود، فالبعض من أبناء الأمة الذي يتجه في اتجاه المسارعة في الموالاة لهم عن طريق التولي المباشر، والعمل المباشر بالتحالف معهم، بالتأييد لهم، بالوقوف في موقفهم ضد أبناء الأمة، بالتحرك

ضمن مؤامراتهم على أبناء الأمة، هو يبني على ذلك سياساته الإعلامية، مواقفه السياسية، تحركاته العسكرية، نشاطه الثقافي والفكري، ويتحول هذا كبرنامج رئيسي يتحرك على ضوئه في واقع الحياة، وليس مجرد موقفٍ هامشيٍ عارض تحدَّثوا عنه في صحفية مرةً واحدة، أو قالوا عنه شيئاً، بل يتحول هذا الولاء إلى برنامج عملي **يحكم بقية الأمور**: يحكم الثقافة، يحكم المناهج، يحكم السياسة الإعلامية، يحكم الخطاب الديني، يؤقلم معه الخطاب الديني حتى في خطب الجمعة، حتى فيما يركز عليه في تلقين وتثقيف الناس، فتتحول المسألة بكلها إلى مسألة تحكم المسار العملي لذلك الطرف الذي يتجه هذا التوجه السلبي.

النتائج الكارثية للتولي لليهود والنصارى على المستوى العملي

من يختارون الطاعة من خلال موقفٍ أو بشكلٍ آخر، بطريقةٍ أخرى، وهي: أن يتخذوا قراراً بأن لا يكون لهم أي موقف صريح وواضح ضد أمريكا وضد إسرائيل، ضد فريق الشر والكفر والعداوة للأمة من أهل الكتاب، ثم يحرصون على ألَّا يكون في كل اهتماماتهم العملية، وفي كل مسيرة حياتهم، في طريقتهم في التعليم، في طريقتهم في الخطاب الديني، في طريقتهم العملية، في مواقفهم الكثيرة، حتى في التفاصيل الدقيقة، يحرصون على ألَّا يكون فيها بكلها ما يعبِّر عن موقفٍ ضد أمريكا أو ضد إسرائيل، ضد ذلك الفريق (فريق الشر والكفر من أهل الكتاب)، وهذا يؤثِّر على برنامجهم بكله، فيحكم هذا موقفهم، عملهم، مسيرة حياتهم، منهجيتهم العملية، طريقتهم في التعليم، خطابهم الديني، يحاولون أن يؤقلموه كله بما لا يسخط أمريكا، بما لا

يسخط إسرائيل، بما لا يرون فيه أنه يستثير أمريكا أو يستثير إسرائيل، أو يستفز ذلك الفريق (فريق الكفر والشر من أهل الكتاب)، فيصبح هذا الموضوع- بنفسه- هو الأساس الذي يبنون عليه مسيرتهم العملية، وتوجهاتهم العملية في كل تفاصيلها، ثم يحرصون على أن يكونوا متميزين أمام العدو بموقفهم هذا، فنراهم- في نهاية المطاف- في موقف، يحرصون دائماً على أن يكونوا على النحو الذي يظهرون فيه أن ليس لهم موقف من الأمريكي والإسرائيلي معادٍ، وأنهم ليسوا مع أولئك الذين لهم موقف واضح وصريح، يتحركون فيه وفق توجيهات الله -سبحانه وتعالى-، ووفق ما تمليه الفطرة الإنسانية في مواجهة هذا الخطر وهذا الشر من أعداء الأمة، فهم يحرصون أن يكونوا متمايزين، فيحرصون على أن تكون مواقفهم في التدجين لأهل الكتاب (لأعداء الأمة) مواقف واضحة وصريحة، أنهم لا يؤيِّدون الجهاد، بل يعارضونه، أنهم لا يؤيِّدون أي موقف يعبِّر عن العداء

لإسرائيل، أو يعبِّر عن العداء والمناهضة لأمريكا، أن موقفهم مختلفٌ عن ذلك، يحرصون على أن يكون هذا واضحاً حتى للعدو، يحرصون على ذلك: أن يكون موقفهم هذا واضحاً حتى للعدو، ويحرصون على أن يكون لهم مواقف مباينة ممن يتجه الاتجاه القرآني، الاتجاه الصحيح الذي تفرضه علينا آيات الله -سبحانه وتعالى-، وتوجيهاته، وتعليماته، في المباينة لأعداء الأمة، في التحرك ضد خطرهم، في التحرك في سبيل الله -سبحانه وتعالى-، في عنوان الجهاد بمفهومه القرآني الشامل والواسع، الذي نناهض فيه أعداء الأمة، ونتصدى لخطرهم في كل مجال من المجالات، فيظهرون هم بشكل معارضة واضحة، بشكل تثبيط، تخذيل.

ففي نهاية المطاف هم يعملون أعمالاً هي لصالح ذلك العدو، هم في موقع الطاعة، يطيعون ذلك العدو، يطيعونه في معارضة ما يريد معارضته، أوليس يريد معارضة أن تتحرك الأمة ضده؟ بلى، بكل وضوح. أوليس يريد من

الأمة أن تشطب هذه المسؤولية من قاموس التزاماتها الدينية والإيمانية، أن تلغي الجهاد، أن تلغي مسألة المباينة لأعداء الأمة، أن تسكت عن الحديث عن خطره، وعن شره، وعن فساده، وعن ضلاله، وعن منكره، أن تخنع له، ألَّا تتحرك ضد مؤامراته، ألَّا تقف بوجه مخططاته؟

الذين يريدون من الأمة ألاّ تقف أمام هذا العدو، وأن تفسح له المجال ليفعل ما يشاء ويريد دون أي معارضة، ودون أي موقفٍ مناهضٍ ومعادٍ لتحركات العدو، أليسوا يقدِّمون خدمةً للعدو؟ أليسوا في موقع الطاعة للعدو؟ بلى، المسألة واضحة.

فلاحظوا كيف كان هذا- وبالذات في هذا الزمن- أكبر اختبار تمر به الأمة، وأكبر فرز في واقع الأمة، عندما اتجهت البعض من قوى هذه الأمة، عندما اتجه البعض من أبناء الأمة في هذه **الخيارات المعوجة**: في خيار الموالاة الصريحة للعدو، **بالرغم** من كل ما يفعل، **بالرغم** من سوئه، **بالرغم**

من مؤامراته على هذه الأمة، **بالرغم** من جرائمه الشنيعة والفظيعة بحق هذه الأمة، وعندما اتجه البعض للتدجين للأمة، ومعارضة أي موقف يقف بوجه هذا العدو أو يباينه، على مستوى شعار يُهتَف به، يعارضون ذلك، يغضبون من ذلك، ينددون بذلك، يستاؤون من ذلك، يؤلمهم ذلك، لا يطيقون ذلك.

على مستوى خطوات عملية، في الدعوة إلى مقاطعة البضائع الأمريكية والإسرائيلية، يأتي ليعارضك، وليسوغ للموضوع، **وليبرر له**: [أنه لا مشكلة فلتستمر الأمة في التعامل معهم]، وقد يحاول أن يدافع عن ذلك حتى باسم الخطاب الديني... **وهكذا في أي موقف**: في التوجه لبناء الأمة في قدراتها العسكرية، في إحياء الروحية الجهادية، في الاستشعار للمسؤولية، في الحديث عن هذا العدو في فضح مؤامراته، في كشف مخططاته، يأتي ليعارض، ليحاول أن يتجاهل الموضوع، يشطب هذه المسألة، لا يريد

حتى الحديث عن هذا الموضوع، يعارض حتى الكلام عن هذه المسألة، يريد للناس أن يصمتوا، أن يسكتوا، أن يقعدوا، أن يجمدوا، أليس هذا مطيعاً لأهل الكتاب؟ أم أنه مطيعٌ لله؟ هل توجيهات الله هي بالسكوت؟ هل أوامره هي بالقعود؟ هل توجيهاته هي بالجمود؟ |الا|.

فإذاً من يتجه هذا الاتجاه هو في موقع الطاعة لأهل الكتاب، الطاعة لهم وهو يعصي الله -سبحانه وتعالى-، ويسكت عمَّا أمر الله -سبحانه وتعالى- بالكلام فيه، ويقعد عمَّا أمر الله بالعمل فيه، ويشطب مسؤوليات من مسؤوليات الأمة الكبرى في التصدي لهذا الخطر ولهذا العدو، ويطيعهم وهو يدجِّن الأمة لهم، وهو يسعى لأن تكون الأمة في موقعٍ لا تقول فيه شيئاً، ولا تعارض فيه شيئاً من مؤامراتهم ولا مخططاتهم، أراد للأمة أن تستسلم لهم، ألَّا تعارضهم، ويعارض من يعارضهم، ويعادي من يعاديهم، أليس في موقع الطاعة لهم وهو يعادي من يعاديهم؟ قد لا

يكـون بينـه وبينهم أي مشـكلة شـخصية، أو أي قضية على خلاف شـخصي أو خلاف آخر، لكن المشكلة الرئيسية التي بنى عليها موقفه السلبي **من أولئك**: أنهم تحرَّكوا في موقفٍ مباينٍ وصريح ضد أعداء الأمة؛ **فيكرههم**.

فلهـذا يوصِّـف القـرآن الكريـم هـذه الحالـة بأنهـا حالة مـرض، عندمـا قـال اللـه -جـلَّ شـأنه-: ﴿**فَـتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَـرَضٌ يُسَـارِعُونَ فِيهِمْ**﴾[المائدة: من الآيـة ٥٢]، فهم من هـذه الحالة التي هم فيها لا يعيشـون السـلامة الإيمانية، السـلامة الفطريـة، لا سـلمت لهم فطرتهم، لو سـلمت لهم فطرتهم؛ **لكان** العدو الواضح أمامهم في وضعٍ لا يحتاجون فيـه، بل لا يندفعـون فيه أبداً- تحت أي دافـع- لخدمته، أو التحالف معـه، أو القعود عن الموقف منه، ومعاداة من يقف بوجهه، لكنها حالة المرض الذي قد يكون: **إمَّا** شكاً، **أو** عدم ثقـةٍ بالله -سـبحانه وتعالى-، **أو** نقص وعـي، **أو** جبناً، **أو** بخلاً، **أو** حقـداً... أو أي مـرضٍ من الأمـراض المعنوية، التي تعني

مشكلةً في السلامة الإيمانية على المستوى النفسي، على مستوى المشاعر والوجدان، قد يكون كبراً، قد يكون حقداً، قد يكون جبناً، قد يكون طمعاً، قد يكون ميولاً فاسدةً، قد يكون...إلخ. العوامل والأسباب كثيرة **جدًّا**.

المسارعون والقاعدون.. خذلان رهيب!

ثم نجد في الآية المباركة في قوله -جلَّ شأنه-: ﴿**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ**﴾، ما يمثله هذا الموضوع من خطورة كبيرة على الإنسان، فكما قلنا تتجه الكثير من الآيات المباركة لتحصين الأمة من الداخل، هنا تجد ما يتوجه إلى تحصين الإنسان- نفسه- من الداخل؛ **لأنه** عندما يحصل هذا المرض في قلبك، الذي قد يكون أي نوع من أنواع الخلل في إيمانك، في واقعك النفسي والداخلي، وفي مشاعرك ووجدانك، عندما تحصل أي حالة نفسية سلبية **تترسخ في وجدانك: إما** كانت انعدام

ثقة بالله -سبحانه وتعالى- وشك في وعده، **إما** كانت جباناً، **إما** كانت أطماعاً، **إما** كانت ميولاً فاسدةً... أي مرضٍ من الأمراض التي تعني حالة من انعدام السلامة الإيمانية في نفس الإنسان، قلبه لم ينطبع بهدىٰ الله، لم يستنر بنور الله، لم يزك بهدىٰ الله -سبحانه وتعالى-، فهذه الحالة قد تدفع بك، وتؤثر عليك وتهيؤك إلىٰ أن تتجه وبمسارعة، تتحرك بنشاط وجد ومبادرة، ومن دون أي تكاسل وتخاذل، وتكون في اتجاهك المسارع (**فِيهِمْ**) **يعني**: فيما هو خدمةٌ لهم، فيما هو طاعةٌ لهم، فيما هو استرضاءٌ لهم، تتجه بجدية ومبالغة في ذلك، ونحن نجد أن كلا الطرفين الذين وقفا هذا الموقف المنحرف: موقف الطاعة، موقف الاسترضاء، سواءً بالولاء المباشر، أو من خلال القعود والجمود، والقعود والجمود - بحد ذاته- كان بهدف الاسترضاء؛ **لأن** البعض يرىٰ في قعوده وجموده أنه يمثِّل استرضاءً لأمريكا وإسرائيل، وأنه سيتجنب استثارتهم واستفزازهم، فلا يحسب أنه عدوٌ لهم، أو أنه يقف بوجه مؤامراتهم ومخططاتهم، أو أنه يعاديهم.

فكل الذين اتجهوا اتجاه الاسترضاء هم يبالغون في استرضائهم، يدخلون حتى في مواقف- لربما- غير متوقعة من جانب الأمريكي والإسرائيلي، لربما لم يكن يتوقع في بعض الأمور أن يستجيب له فيها النظام السعودي، أو الإماراتي، أو أشباههم ممن ينطلق في هذا الاتجاه المنحرف، أو ربما لم يكن يتوقع أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه من المبالغة في استرضائه، من تقديم أعمال، وخطوات، ومواقف كبيرة **جدًّا** مفاجئة، في بعضها قد تكون مفاجئة حتى له، لم يكن يتوقع، وأحياناً يعبرون عن أنهم لم يكونوا يتوقعون بعض الخطوات، بعض المواقف، ويستغربون.

الذين اتجهوا أيضاً اتجاه الاسترضاء بقعودهم، بجمودهم ومعارضتهم لمن يتحرك، لمن ينهض بالمسؤولية، لمن يقوم بالواجب، لمن يتحرك وفق توجيهات الله -سبحانه وتعالى-، نجد مبالغتهم أيضاً في عملية الاسترضاء للعدو: جمود عن كل شيء، صمت عن كل شيء يتوقعون فيه أو يحتملون

فيه- بأدنى نسبة من الاحتمال- أنه سيكون مستفزاً لأمريكا، أو مستفزاً لإسرائيل، أو محسوباً على أنه مجرد تقارب مع من له موقف ضد أمريكا وإسرائيل، فهم يبالغون في ذلك، يبالغون في الاسترضاء مبالغة عجيبة **جدًّا**، ويحرصون على أن يتمايزوا حتى في أبسط المسائل، حتى في الشكليات، حتى في قضايا عادية **جدًّا**، أن يتمايزوا في كل شيء، حتى - بنظرهم- لا يحسب عليهم أي شيءٍ مهما كان بسيطاً أنهم تقاربوا فيه مع الذين لهم موقف ضد أمريكا وضد إسرائيل، وأنهم موقفهم مختلف ومنحاز بشكلٍ آخر، وأنهم لا يتبنون أي موقف مهما كان بسيطاً، يحسب فيه أنه معادٍ لأمريكا وإسرائيل، أو يستفز أمريكا وإسرائيل، فتتحول الحالة بالنسبة لهم إلى حالة غريبة **جدًّا** من الخذلان، مبالغة وجد عجيب، واهتمام كبير، ونشاط كبير، ومبادرة ومسارعة، وانتباه وملاحظة، ودقة في أمورهم هذه، وهذا من الخذلان الكبير، من الخذلان الرهيب **جدًّا**، من أعجب الأمور في واقع هذه الأمة.

يفترض بنا جميعاً، كل الذين آمنوا، كل الذين ينتمون هذا الانتماء أن يسارعوا في الابتعاد عن أهل الكتاب، عن اليهود والنصارى، عن أمريكا وإسرائيل، وأن يتجهوا بكل جديةٍ ومسارعةٍ إلى ما فيه مرضاة الله -سبحانه وتعالى-، أن يسارعوا في الخيرات، أن يسارعوا في الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس في كل مجالات هذه الحياة، أن يتحركوا عملياً للتصدي لهذا الخطر الكبير وهذا الشر الفظيع، الذي يصل في خطورته إلى أن يمسَّ بإيمانهم، بأخلاقهم، بمبادئهم، بقيمهم، بتعليمات الله -سبحانه وتعالى-، في واقع التزامهم بها، أن يتحركوا بمسارعةٍ في ذلك، مسارعة في طاعة الله -سبحانه وتعالى-، المسارعة إلى الخيرات.

فيبين القرآن أنها حالة رهيبة جدًّا؛ حالة المرض التي ينبغي أن يتحصَّن الإنسان منها، كما تأتي التوجيهات التي تحصِّن الأمة من الداخل، تأتي التوجيهات والتوصيفات والتنبيهات التي تذكِّر الإنسان كيف يحصِّن نفسه حتى على المستوى

الشـخصي، كيف تحصِّـن قلبك، كيف تحصِّـن داخلك مما يسبب لمثل هذا الانحراف الرهيب والخطير **جدًّا**.

المبررون والساعون لاسترضائهم.. نهايتهم المخزية

عندما تأتـي التبريرات من جانبهم: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَـا دَائِرَةٌ﴾[المائدة: من الآية ٥٢]**، يعني**: يبررون موقفهم بأنه إيمان بأن العدو أصبح حالة قائمة لا يمكن التصدي لها، ولا يمكـن التغلب عليهـا، ولا يمكن دفع خطرهـا، وأنه لم يبق أمامهـم إلا الانحياز في صفه بشـكلٍ مباشـر، أو القعود عن أي تحرك بوجه مؤامراته ومخططاته، وللتصدي له.

حالـة تبرير غير مقبولة عند الله -سـبحانه وتعالى-**؛ لأن الله** -جلَّ شأنه- **يربينا إيمانياً، ويعلمنا أن نثق به، وأن نتوكل عليه، وأن نثق بوعده الصادق بالنصر، إذا تحركنا كما ينبغي، وقمنا بمسؤولياتنا.**

ثم يؤكد القرآن الكريم على أن مآلات هذه المواقف المنحرفة هي الخسارة والندم، فيقول: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٢-٥٣]، فيؤكد هذه الحقيقة القاطعة، **الحتمية أيضاً**: أن الذين يتجهون هذا الاتجاه المنحرف في الطاعة للأعداء، في التولي لهم، في المسارعة في الاسترضاء لهم، أن عاقبتهم هي الندم والخسران، وهذا ما نؤمن به، وهذا ما نثق به، وهذا ما نقطع به ونتيقنه أنها نتيجة حتمية لهم، عاقبة أمرهم أن يندموا، وعاقبة أمرهم أن يخسروا، وكل جهودهم في استرضاء العدو التي أسخطوا بها الله ستكون- في نهاية المطاف- وبالاً عليهم، وهم يخسرون، هم يخسرون على ما يفعلونه يحملون به الوزر عند الله

-سبحانه وتعالى-، وفي نهاية المطاف لن تتحقق لهم أهدافهم من وراء ذلك؛ **لأن** العدو إنما يستغلهم، العدو حتى هو لا يرضى عنهم، لا يودهم، لا يحبهم، لا يرى لهم قيمةً عنده، مثلما قال الله -جلَّ شأنه-: ﴿**هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ**﴾[آل عمران: من الآية ١١٩]، هذا فيمن يحبهم حتى، لا يبادلونه نفس المشاعر، يبقى الحب من طرف واحد؛ **أما** هم فلن يكون لهم عنده أي قيمة على الإطلاق.

ثم من يسعى بهدف الاسترضاء لهم، والطاعة لهم، ويعطِّل توجيهات الله وتعليماته، ويتجاهلها، بل يعارض من ينفذها، ومن يسعى للالتزام بها، ومن يتوجه بها، مثل هذا النوع أيضاً- ممن يسعون لاسترضائهم- يخسر، وعاقبة أمره أيضاً الخسارة، وقد يصل إلى مواقف سلبية **جدًّا**، قد يحارب من أجلهم، قد يفعل الشيء الكثير من أجلهم، ثم- في نهاية المطاف- لن يكون لجهوده أي قيمة عندهم، ويضرب، يضرب من جانب الله -سبحانه وتعالى-، أو

مـن جانبهم، ولا تتحقق لـه النتيجة التي أمَّلها، أمَّل في ذلك السـلامة، أمَّل في ذلك العزة، أمَّل في ذلك الاسـتقرار، أمَّل فـي ذلـك أن يبقى خارجاً عن المشـاكل التـي يتوقعها للذين يتحركون في الاتجاه الصحيح.

مفهوم الارتداد في هذه الآية

ثـم يقول الله -سـبحانه وتعالـى-: ﴿**يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا مَـنْ يَرْتَـدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَـوْفَ يَـأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَـةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَـاءُ وَاللَّهُ وَاسِـعٌ عَلِيمٌ**﴾[المائدة: الآيـة ٥٤]، (الارتداد) **يعنـي**: التراجع، التراجع عـن الدين في مبادئه، في أخلاقه، في قيمه، في مسؤولياته، في مواقفه، هذا هو الارتداد المقصود في هذه الآية المباركة، مع أن البعض قد

يصلـون إلى حد الارتـداد الكلي عن الإسـلام، ولكن الآية هي تتحدث عـن هذا الارتداد، عن هذا التراجع؛ **لأن** عملية الاسـترضاء لليهود والنصارى، لفريق الشر والغدر من أهل الكتـاب، لأمريـكا وإسـرائيل، لـن تكون إلا على حسـاب مبـادئ، وقيم، وأخـلاق، وتعليمات من الله -سـبحانه وتعالى-، ومسـؤوليات من هذا الدين، الاسـترضاء لهم في أي عمل، فـي أي موقـف، في أي خطـوة، سـيقابله تراجعٌ عن شـيءٍ مـن أخلاق هـذا الدين، أو مبادئـه، أو قيمه، أو مسـؤولياته، أو تعليماتـه؛ **لأن** اتجاههـم هم هو اتجـاه متناقض مع مبادئ ديننـا، مع قيمه، مـع أخلاقه، مع المسـؤوليات فيه، اتجاههم هم اتجاه ظالم ومفسد في هذه الأرض، اتجاه طغيان، اتجاه عدوان، اتجاه فساد ومنكر وباطل وشر.

ولذلك أي مسـارعة للاسـترضاء لهم في عملٍ تعمله، أو في شـيءٍ تتخلى عنه، فأنـت- في المقابل- تقدم شـيئاً على حسـاب مـا يقابله مـن موقفٍ دينـي، أو أخـلاق، أو قيم، أو

مبادئ من تعاليم هذا الدين، وهذه أيضاً من الأمور الحتمية والمؤكدة، الذين يسترضونهم بأعمال يتحركون فيها يرون فيها أنها تعجبهم، وأنها استرضاء لهم، **وكذلك الذين يؤقلمون أعمالهم، ومسيرتهم العملية**، وحتى تديُّنهم، بالشكل الذي يرونه مرضياً لأولئك وغير مستفز لهم، هذا وذاك، أولئك وأولئك، الكل منهم- هم- يفعلون ذلك على حساب تراجع، تراجع عن مبادئ من مبادئ هذا الدين، تراجع عن قيم من قيم هذا الدين، تراجع عن أخلاق من أخلاق هذا الدين، تراجع عن مسؤوليات وواجبات من مسؤوليات وواجبات هذا الدين، تراجع أيضاً عن التزامات عملية أمر الله بها في كتابه الكريم.

ولذلك ما الذي قابل في هذه الآية حالة الارتداد والتراجع؟ هل قابلها بحالة الإسلام؟ هل قال: [فسوف يأتي الله بقومٍ يسلمون]؛ **لأن** المسألة مسألة مثلاً ارتداد كلي عن الملة الإسلامية؟ لو كانت المسألة مجرد حديث عن

الارتداد عن الملة الإسلامية، لقابل هذا **بقوله**: [فسوف يأتي الله بقومٍ يسلمون]، وانتهت المسألة، لكنه قابل حالة الارتداد والتراجع بقوله: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**﴾، فقابل تلك الحالة بهذه الحالة المناقضة لها، فارتداد أولئك (الصنف الآخر الذي يتراجع) هو ارتداد- في مقدمته- عن هذه القيم المذكورة، من أبرز ما فيه غياب هذه القيم.

فسوف يأتي الله بقوم.. مواصفاتهم المباركة

﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ**﴾ يناقضون في حالهم، في ثباتهم، في وفائهم، في التزامهم الإيماني والديني، ما عليه حالة أولئك المتراجعين، هؤلاء قوم يقول الله عنهم: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ**﴾ هذا- بحد ذاته- شرفٌ عظيم وفضلٌ

كبير، والمفترض في الإنسان أن يسارع لأن يكون من هؤلاء القوم، أن يحرص على أن يكون منهم، وسماهم قوماً؛ **لأنهم** سيتحركون بشكل أمة تجتمع على هذا المنهج، تجتمع في هذا المسار، تتحرك جماعياً على أساس هذه المواصفات القرآنية، **يعني**: ليسوا مُبَعثَرين: هذا لوحده، وهذا لوحده، وتحركهم تحركاً فردياً، بل تحركاً جماعياً، يأتي الله بهم وهم يتحركون في إطار هذه المواصفات المباركة:

أولها: يتحدث عن طبيعة علاقتهم بالله -سبحانه وتعالى-: **﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾**، ولذلك هم موالون لله -سبحانه وتعالى-، وهم يحبون الله، والله يحبهم؛ **لما** هم عليه من مواصفات راقية، ووفاء وثبات على منهج الله -سبحانه وتعالى-، وتجد الحالة تختلف عند الذين يتجهون لموالاة أعداء الأمة، حتى لو وصلوا إلى درجة المحبة لأعداء الأمة، فأولئك لا يبادلونهم المحبة، **﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾**؛ **أما** الله -جلَّ

سبحانه- فهو يقول ابتداءً: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾، حتى قبل أن يقول: ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾.

علاقتهم هذه في المحبة لله -سبحانه وتعالى- أكثر من أي شيءٍ في هذه الحياة، يبنى عليها منطلقاتهم العملية، فهم الذين يتحركون في سبيل الله، وفي الطاعة لله، وفي الموقف مع الله -سبحانه وتعالى- بكل رغبة، ولا يؤثرون على ذلك أي اعتبارات أخرى، هم ذائبون في الله، يتحول هذا الحب لله -سبحانه وتعالى- إلى دافعٍ قويٍ **جدًّا** للعمل بكل رغبةٍ، وبكل جدٍ، وبكل اعتزازٍ، وبكل شوقٍ، ومن دون أي تراجع لأي اعتبارات أو حسابات شخصية، لا يخضعون لأي حسابات شخصية، أو أي اعتبارات شخصية من هنا أو من هناك، ولذلك فسيكون هو الضمانة التي ستجعلهم ينطلقون ولا يتراجعون أبداً، الذي يتراجع هو الذي تدخل في نفسه، في دوافعه، اعتبارات شخصية: إما مصالح شخصية، أو مكاسب شخصية، أو دوافع شخصية، الذي يحمل

الاعتبارات الشخصية هو الذي من يمكن أن يتراجع.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، هم في واقعهم الداخلي أذلة على بعضهم البعض، لدرجة أن حالة التواضع فيما بينهم والاحترام المتبادل فيما بينهم، والمودة فيما بينهم، والأخوة فيما بينهم، توصَّف بهذا التوصيف: (أَذِلَّةٍ)، ليسوا جريئين في الإساءة إلى بعضهم البعض، على العكس من غيرهم، تجد الآخرين الذين اتجهوا اتجاهاً آخر كيف هم جريؤون في الإساءة إلى المؤمنين، وفي نفس الوقت أذلاء أمام الأعداء، لا جرأة عنده في الكلام والموقف ضد إسرائيل، ضد أمريكا، لكنه سيكون جريئاً في الإساءة والكلام، ولربما الموقف- بأكثر من ذلك- ممن يعادي أمريكا وإسرائيل.

﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾؛ لأنهم يحملون العزة الإيمانية، فهم جريؤون، تتجلى هذه العزة في كل مواقفهم، في كلامهم، في فعالهم، في حركتهم، في مواقفهم بكلها.

﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، فليسوا ممن يتبنى القعود والجمود، والتخاذل والتكاسل، ليسوا ممن يشطب هذه المسؤولية بكلها، ويلغيها نهائياً وكأنه لا أساس لها من الدين، فهم يتحركون لبذل الجهد في كل المجالات؛ لإقامة دين الله -سبحانه وتعالى-، فيتحركون وفق الطريقة التي رسمها الله -سبحانه وتعالى- في كل مجالات هذه الحياة: على المستوى العسكري، على المستوى الأمني، على المستوى الاقتصادي، على المستوى الإعلامي، مواقفهم واضحة، يتصدون للعدو في كل مجال وفي كل ميدان، ويتصدون لمؤامراته وخططه في كل المواضيع وفي كل القضايا التفصيلية، هم الحاضرون في كل ميدان للتصدي للعدو، للتصدي لمؤامراته، للتصدي لخططه، للتحرك وفق توجيهات الله -سبحانه وتعالى-، ومن أجله -جلَّ شأنه-.

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾؛ لأن الزمن الذي تدخل فيه الأمة في حالةٍ من الانقسام والاختلاف على هذه القضية

سيكثر فيه اللوم، اللوم بشكل كبير لمن يتجه هذا التوجه، لمن يتحرك على هذا الأساس، سيلقى اللوم من القاعدين الجامدين، المسترضين للعدو بقعودهم وجمودهم، وما تخلوا عنه من المسؤوليات والواجبات، وما قصروا فيه من توجيهات الله -سبحانه وتعالى- استرضاءً لأمريكا وإسرائيل، استرضاءً لفريق الشر والغدر والمكر والكفر من أهل الكتاب، وسيلقون اللوم بأشده ممن تحرك بشكل موالاة صريحة وتحالف واضح مع أعداء الأمة، الكل سيلومهم، وسيأتي اللوم بكل أشكاله وأنواعه: اللوم الذي هو بطابع ديني وعناوين دينية، واللوم الذي سيأتي أيضاً بشكل إعلامي وسياسي، واللوم الذي سيأتي إليهم لانتقادهم على كل موقف، على كل حركة، على كل عمل، للتشكيك بنواياهم، للتشكيك بهم، هكذا سيكثر اللوم، سيكون من أكثر ما يتجلى فيه اللوم هو هذا الموقف: اللوم لهم، ولكنهم على درجة عالية من الوعي، واليقين، والبصيرة، والإيمان؛

فلا يكترثون، ولا يبالون، ولا يخافون من لوم اللائمين بكل أشكالهم، بكل أنواعهم، بكل خطاباتهم وأساليبهم، بكل العناوين التي يعتمدون عليها في توجيه اللوم.

هؤلاء الذين يمنحهم الله هذا الفضل الكبير، قال -جلَّ شأنه-: ﴿**ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾، فضل من الله وشرف عظيم أن يكون الإنسان ممن يدخل في إطار هؤلاء القوم، ممن يحمل هذه المواصفات، نعمة عظيمة وفضل وشرف كبير؛ بينما اللوم- في واقع الحال- ينبغي أن يتوجه تجاه الذين يتخذون مواقف منحرفة.

﴿**وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾، فليسعَ الإنسان إلى أن يكون ممن يؤتى هذا الفضل، وليسعَ لأن يكون ممن يلتزم بهذه المواصفات: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝٥٥ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ**

﴿الْغَالِبُونَ﴾[المائدة: ٥٥-٥٦]، وهؤلاء بمواصفاتهم هذه يلتزمون بالتولي العملي لله ولرسوله ولأوليائه وللإمام علي -عليه السلام-، ولذلك فبتوليهم العملي الذي يبنون عليه حركتهم، مواقفهم، مسيرتهم العملية، يتحقق لهم هذا الوعد الإلهي في نهاية المطاف: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

فنجد أن هذه المسارات في واقع الأمة لها عواقبها المرسومة من قبل الله -سبحانه وتعالى-: مسار عاقبته الندم والخسران، هو مسار من يسعى لاسترضاء أولئك من أعداء الأمة، ومسار نتيجته: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، من يتحرك ضمن هذه المواصفات والطريق التي رسمها الله -سبحانه وتعالى-.

لا يفوتنا- في نهاية المطاف- أن نؤكد على أن هذه المسألة من أهم المسائل التي ينبغي أن يتعامل الإنسان معها بالتزام واستشعار للمسؤولية أمام الله -سبحانه وتعالى-، وأن يحرص أيضاً عندما يتوجه أن يتوجه بجد وصدق، ضمن

هـذه المواصفـات القرآنية، ألَّا يتراجع فـي منتصف الطريق، ولا في بعضٍ من المراحل المعينة، وأن يحرص على أن يبقى في واقعه الشـخصي، في التزامه، ملتزمـاً بهذه المواصفات، وضمن هؤلاء القوم الذين يحملون هذه المواصفات، والتي بها الشرف الكبير.[٢]

ستظل مواقفنا ثابتة تجاه قضيتنا الأولى الفلسطينية

إن يـوم القـدس العالمـي الـذي أعلنـه ودعـا إليـه الإمام الخمينـي -رضـوان الله عليـه- مناسـبةٌ مهمـة، تذكِّـر الأمـة بمسـؤوليتها تجـاه قضيتهـا الأولـى: القضيـة الفلسـطينية، وتسـاهم في رفع مسـتوى الوعـي لدى شـعوب الأمة تجاه الخطر الإسـرائيلي، وتهيئ الفرصـة لتحركٍ عمليٍ جادٍ نحو تطهير وتحرير أرض فلسـطين والأراضي المحتلة، واستعادة المقدسات، وإنقاذ الشعب الفلسطيني.

(٢) محاضرة السيد القائد بمناسبة يوم القدس العالمي لعام ١٤٤١هـ.

ونحن بهذه المناسبة نؤكِّد على موقف شعبنا اليمني المسلم في الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني وأحرار الأمة، ضد العدو الإسرائيلي الغاصب، والمنتهك لحرمة المقدسات، وعلى رأسها المسجد الأقصى الشريف، والمحتل للأرض، والمضطهد للشعب الفلسطيني.

وإن موقفنا هذا هو التزامٌ دينيٌ وأخلاقيٌ وإنسانيٌ، وهو الموقف السليم والصحيح والطبيعي، الذي **يجب** أن يقفه كل مسلمٍ صادق، وكل إنسانٍ حُرٍّ غيور، فالعدو الإسرائيلي هو عدوٌ للأمة بكلها، ويمثِّل خطراً على الأمن والاستقرار العالمي، وهو ينتهك حرمة المقدسات، بما تمثله من أهميةٍ دينيةٍ ورمزية، ويشكِّل تهديداً فعلياً لها، وعلى رأسها المسجد الأقصى الشريف، أولى القبلتين، ومسرى خاتم الأنبياء: رسول الله محمد -صلى الله وسلم عليه وعلى آله-.

كما أنه يحتل بلداً مسلماً، ويقتطع أجزاء أخرى من بلدانٍ مسلمةٍ أخرى، ويظلم شعباً بأكمله بكل أنواع

الظلـم، مـن قتـلٍ، وتشـريدٍ، وسـجنٍ، واغتصـابٍ للأرض والممتلكات، وهتكٍ للأعراض، وتدميرٍ للمساكن والمزارع، واقتلاعٍ لأشـجار الزيتون، واضطهـادٍ دينيٍ وصل إلى وضع قيـودٍ ومضايقاتٍ على إقامة الشـعائر الدينيـة، وفي مقدمتها الصلاة، ورفـع الأذان لها عبر مكبرات الصوت، وأصبحت هـذه الجرائـم الفظيعـة ممارسـاتٍ يوميـة يمارسـها العـدو الإسـرائيلي ضد شـعبٍ هو جزءٌ من أمتنا الإسلامية، إضافةً إلى الحصار الظالم المطبق لإخوتنا الفلسطينيين الأحرار في قطاع غـزة، وما ينتج عنه من مآسٍ ومعاناة، وما يلحق به من غاراتٍ جوية وقصفٍ واعتداءاتٍ إجرامية.

إن قضيةً بهذا الحجم، ومظلوميةً بهذا المسـتوى، لهي مما تحتم المسؤولية الدينية والأخلاقية والإنسانية تحديد موقفٍ مسؤولٍ وحاسمٍ ومعلنٍ وصريحٍ وواضح، وعمليٍ تجاهها، وإن شعبنا اليمني بهويته الإيمانية، التي نال بها وسام الشرف الكبير، فيما روي عن رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه

قال: (**الإيمانُ يَمانٍ، والحِكمةُ يَمَانية**)، ليعلن بكل وضوح أنه حاضرٌ جنباً إلى جنب مع أحرار الأمة ومحور المقاومة، وبسقفٍ عالٍ للمواقف العملية على كل المستويات، وبكل الخيارات المتاحة؛ نصرةً للمسجد الأقصى الشريف، والمقدسات، والشعب الفلسطيني، ومجاهديه الأبطال في كل الفصائل الفلسطينية المقاومة.

كما أننا نستنكر وندين كل مساعي وخطوات التطبيع التي يقوم بها البعض، وعلى رأسهم النظام السعودي، مع العدو الإسرائيلي، بكل أشكالها، ونعتبرها من الولاء المحرم شرعاً الذي بلغت حرمته إلى مستوى قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ**﴾[المائدة: من الآية ٥١]، وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿**لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ**﴾[آل عمران: من الآية ٢٨]، وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿**بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨ الَّذِينَ**

﴿يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[النساء: ١٣٨-١٣٩].

كما ندعو أمتنا الإسلامية إلى العودة إلى القرآن الكريم؛ للاهتداء بنوره من كل مساعي التضليل، وللاحتماء به في مسيرتها العملية، كمشروعٍ عملي عظيم، يرتقي بها إلى مستوى مواجهة كل التحديات.

وندعو إلى العناية بنشر الوعي في أوساط شعوب الأمة، والاستنهاض لها ضمن برامج عملية، تحصنها من الاختراق والاستقطاب، إضافةً إلى خطواتٍ عملية، كالمقاطعة للبضائع الأمريكية والإسرائيلية، والهتافات المناهضة للسياسات الأمريكية، والمعادية للعدو الإسرائيلي، ودعم حركات المقاومة، وتوجيه الوسائل والأنشطة الإعلامية للتصدي للتطبيع، ولنشر الوعي، ولاستنهاض الأمة لتكون منابر توعية وتعبئة.(٣)

(٣) الكلمة التي شارك بها السيد القائد قادة محور المقاومة في مناسبة يوم القدس العالمي لعام ١٤٤١هـ.

نسأل الله -سبحانه وتعالى-، أن يوفقنا وأياكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

❖❖❖

المحتويات

الخطورة التي يشكلها العدو الإسرائيلي على الأمة وواجبنا تجاه ذلك ٥

الموقف السائد تجاه هذا الخطر الكبير..... ٨

الدور السلبي للأنظمة وانعكاسه على الشعوب ١٠

الشهيد القائد يقدم القرآن الكريم للأمة كتاب هداية ٤١

في كل مجالات حياتها وبالذات في مجال الصراع ٤١

مشكلة الأمة أنها ابتعدت عن ثقافة القرآن الكريم ٤١

القرآن الكريم شخّص واقع أهل الكتاب وبين للأمة نقاط ضعفهم ٨١

القرآن الكريم يبين مستوى العداء لدى أهل الكتاب ويبين خطورتهم..... ٢٦

القرآن الكريم يبين الاستراتيجية التي يعتمدها أهل الكتاب لاستهدافنا..... ٢٩

من أهم ما تحتاجه الأمة هو فهم طبيعة الصراع مع أهل الكتاب..٣٨

عناصر النجاح للرؤية التي اعتمد عليها القرآن الكريم في مواجهة أهل الكتاب ٤١

أولاً: لا بد للأمة من قيادة واحدة ومنهج واحد ١٤

ثانياً: الالتجاء العملي إلى الله من موقع الوعي ٤٤

ثالثاً: التقوى عنصر أساسي في تحقيق النصر في مواجهة أهل الكتاب ٥٤

رابعاً: الاعتصام بحبل الله جميعاً على أساس المنهج الواحد والرؤية الواحدة ٤٧
خامساً: أن نكون ممن يحبهم ويحبونه ٩٤
سادساً: التولي لله ولرسوله وللإمام علي ٣٥
ما الذي يجب علينا اليوم؟ ٥٥
ما الذي حدث عندما تبنى شعبنا هذه الرؤية القرآنية ٥٨
واقع الأمة تجاه أهل الكتاب ٦٠
من العجيب أن مسألةً بهذا الوضوح محط خلاف وجدل ١٦
يفترض بهذه الأمة أن تتحرك بكل جدية لمواجهة الخطر ...٦٥
أهل الكتاب وخطرهم على الأمة من الداخل ٦٦
النتيجة الحتمية لموالاة أهل الكتاب! ٠٧
النتائج الكارثية للتولي لليهود والنصارى على المستوى العملي.٧٥
المسارعون والقاعدون.. خذلان رهيب! ٢٨
المبررون والساعون لاسترضائهم.. نهايتهم المخزية ٨٧
مفهوم الارتداد في هذه الآية ٩٠
فسوف يأتي الله بقوم.. مواصفاتهم المباركة ٩٣
ستظل مواقفنا ثابتة تجاه قضيتنا الأولى الفلسطينية ١٠١